أساليب الطلب

في الخطابة والوعظ

تأليف

من علماء الأزهر الشريف

obeikandl.com

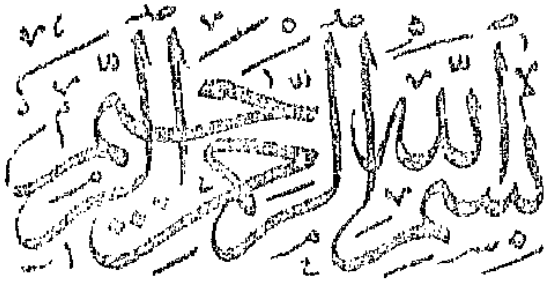

الحمد لله الهادى إلى الصراط المستقيم ، المنعم المتفضل العزيز الحكيم ، الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولى من الذل ، وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سرنا وجهرنا وظاهرنا وباطننا ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور : والصلاة والسلام على سيدنا محمد علم الهداية ورسول السلام ونبي الهداية ومصباح الظلام ، بعثه مولاه شاهداً ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا أرسله ربه بالحق المبين ، وأنزل عليه الكتاب الكريم ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا .

بعث الله سيدنا محمدا بدين الاسلام فأدى الأمانة وبلغ الرسالة ولاقى فى سبيل ذلك من الشدائد والمصاعب والفواجع النوازل مالا تحتمله الجبال الرواسى وتنوء تحته كواهل الشجعان البواسل :

كان ﷺ كبير القلب عالى الهمة فلم يجب أن يدعو الى التوحيد قوما مشركين معاندين مكابرين يعلم أنهم غلاظ جفاة شرسون متحمسون يغارون على أصنامهم مما يغارون منه على أعراضهم وفلذات أكبادهم

كان ﷺ واسع الأمل كبير الرجاء لا يعرف اليأس الى قلبه سبيلا ولا يسلك الوهن إلى نفسه طريقا بل كان شجاعا باسلا قويا بإيمانه قويا بيقينه قويا بثقته من نفسه قويا بثقته من ربه الذى وعده بالنصر المبين والفتح القريب فلم يزعجه ولم يزعزع يقينه أن كان قومه وأقرب الناس إليه يناصبونه العداء والبغضاء ، ويرمونه بأشد أنواع العذاب وأقسى صنوف الانتقام وهم فى ذلك يجرون وراء عاطفة جاهلية عربية نزاعة إلى الحروب وسفك الدماء وثابة إلى

الانتقام والأخذ بالثأر ممن يقف فى طريقها أو يحاول صد تيارها ، نعم ما ضعف النبي ولا استكان ولا وهن ، بل كان يقول بمل ء فيه في ثقة واطمئنان وحزم ومراس « والله لو وضعوا الشمس فى يميني والقمر فى شمالي على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه » وصدق الله العظيم القائل «وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ »

وهكذا أخلص النبي فى الدعوة إلى التوحيد وركب متون الشدائد والمخاطر ونسى نفسه فى سبيل ربه حتى انتشر دين الله فى أرضه مؤيدا بالبرهان القاطع والحجة الدامغة محوطا برجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، لا تلين قناتهم ، ولا تضعف إرادتهم : سبر الزمان غورهم فما عرف فيهم إلا أصالة الرأي ونبالة المقصد وعلو الهمة وصلابة الارادة وقوة العزيمة والتبصرة مع سلامة فى القلب وطهارة فى الذمة : أولئك هم أصحاب رسول الله الذين عاونوه فى مهمته وتطوعوا لتأييد دعوته وأيدوه فى ساعة العسرة وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون

نعم كان الصحابة القائمون على حراسة الدين وإعلاء كلمته أقوياء أشداء ولكن على الكفار وأما فيما بينهم فكانوا رحماء يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود: أجل كانوا رجالا يتلهبون غيرة وحماسة على دينهم ولكنهم مع هذا كانوا منصفين متوادين متواضعين سمحاء بينهم وبما يجب لربهم قائمين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار.

ومن ثم انتصر الدين وعظم شأنه وسار في الأقطار ذكره وعلت كلمته ورفرفت على الأقطار رايته وضربت القبة الاسلامية رواقها على سماء جزيرة العرب وأقبل الناس إلى الدخول في دين الله أفواجا «يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون» مضى هؤلاء السادة الأمجاد ما سوقا عليهم وأمسوا رهائن القبور ومضامين اللحود ومضى بمضيهم عهد للاسلام اهر وعصر للدين ناضر وعز للمسلمين غابر وأصبحنا الآن في

هذا الزمان المتأخر وقد عمد المسلمون إلى محارم الله فارتكبوها ومنهياته فاستباحوها ومأموراته فاجتنبوها ونبذوها وقطعوا الأسباب بينهم وبين ربهم الخالق الرازق . حتى نحن البلاد وحل بساحتنا الشقاء ، وتوالت علينا الأرزاء ، وحلت بنا النقم ونزلت بنا الفواجع ، وصرنا في حالة لا نغبط عليها . لأنها تشمت العدو وتسيء الحبيب

وفي الحق إن حالنا مؤسفة مؤلمة لكل من كان في قلبه مثقال ذرة من الغيرة على هذا الدين الاسلامي الحنيف لهذا فان أسمى ما تطمح إليه الآن النفس المطمئنة ، وغاية ما يصبو إليه الذوق السليم أن يرى أفراد هذه الأمة الاسلامية ذات التاريخ المجيد والمجد المؤثل وقد تشبعوا بمبادىء الدين وأشربوا حب الاسلام ، وأحلوا القرآن منهم المنزلة اللائقة به ووجلت من الله قلوبهم ، وفاضت بالايمان نفوسهم ، وعمروا مقتنعين بأن ما يدعونه حضارة ومدنية وتقدما ورقيا إن هو إلا الشقاء بعينه والسراب الخادع يحسبه الظمآن ماء حتى

إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد عنده السم فى الدسم وخيبة الآمال فى العسل

أجل إنها لسعادة لا تدانيها سعادة أن يرى الانسان أبناء دينه وأفراد ملته وقد نبذوا نبذ النواة هذا التقليد الأعمى الذى كاد يقضى على كياننا وأوشك أن يجعلنا خليطاً من البشر لا يمت بصلة إلى ذلك المجد التالد، مجد الاسلام والمسلمين، واعتقدوا عن حس وشعور أن الحضارة الصحيحة والمدنية الحقة ليست إلا فى تعاليم هذه المحجة البيضاء والشريعة الواضحة الغراء التى من اعتصم بها فقد أصاب النبل والشرف وهدى إلى صراط مستقيم

نعم إنه ليوم سعيد زاهر هذا الذى نرى فيه الأمة تنشد حياة سعيدة هانئة فى ظل دينها الماجد الحنيف، تشدو بذكره، وتتغنى بفضله، ولها عقيدة راسخة فى جزم ويقين بأن الدين قلبها النابض بحياتها، وكما أنه لا حياة لجسم بغير قلب فكذلك لا خير فى قلب يخفق بغير دين، هذا أمل يجيش به صدرى ويتغلغل فى أعماق نفسى، والمستقبل القريب

كفيل بتحقيقه إن شاء الله . على أنى إن ذكرت ما أصاب الدين من تأخر ، وما انتابه من اضمحلال فى عصرنا هذا فلا تطاوعنى نفسى أن أخلى العلماء بصفة عامة ، والوعاظ المرشدين منهم بصفة خاصة من مسئولية ذلك أمام محكمة الضمير وأسفار التاريخ فى هذه الحياة ، وأمام أحكم الحاكمين يوم يقوم الناس لرب العالمين : إن الوعاظ المرشدين فى العصر الأول من الاسلام على قرب عهد الناس برسول الله ﷺ وما كان عليه القوم من شدة تعلق بدينهم أخص بالذكر منهم الكبراء والعظماء وأرباب الرأى وأصحاب الأدمغة المفكرة ، إن الوعاظ المرشدين مع هذا كله ما قصروا يوماً فى الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بألسنتهم وأقلامهم وأفكارهم وأموالهم ، على ما كانوا عليه من ذكاء ونبوغ وإخلاص ، وما هو معروف من أنهم أساطين البلاغة وفحول الكلام : نهضوا بالخطابة والوعظ نهضة يذكرها لهم التاريخ بمزيد الاعجاب والاكبار ، ويستعيد المسلمون ذكراها بكبير الفخار والاجلال أثراً ناطقاً بفضلهم وشاهداً

دلا على عظيم بلائهم فى الله وإخلاصهم

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

كان كتاب الله قائدهم، وسنة رسول الله رائدهم لا يألون جهداً فى الاقتباس منهما، ولا يدخرون وسعاً فى أن يسلكوا مسالكهما، ويضربوا على هذه النغمة الأخاذة بجامع القلوب، المثيرة للعواطف والشعور: فكانوا رضوان الله عليهم أقدر الناس على الضرب على هذا الوتر الحساس وأعرف الناس بطرق الوصول إلى القلوب وامتلاك أعنتها ثم قيادها إلى طرق البر والخير، وتوجيهها إلى ما فيه هناؤها وسعادتها فى العاجل والآجل: فقد كان الخطيب منهم إذا على المنبر تكتنف الحضور الروعة ويسودهم الجلال، وتأخذهم الرهبة وتتبدد ظلمات الجهالة والضلال

وإذا تكلم وهو الخطيب المفوه يذكرهم بأيام الله ويحذرهم بأس الله وجلت القلوب وأشفقت النفوس واغرورقت بالدموع العيون، وتصاعدت الزفرات حزنا، ثم سالت العبرات سيلا، والعبرات مفاتيح القلوب، ومن ثم تتفتح القلوب فتتلقف

هذه المواعظ، تسرى فيها سريان الكهرباء، فسرعان ما تخرج من جمودها وتهتز بعد سكونها، وتتفجر منها ينابيع الحكمة فيفيض ماء الايمان، وتضيء فيها مصابيح الهدى والرشاد فتشع بنورها على الجوارح تبين لها طريق الله فتمضي هذه في خدمة ربها طائعة مختارة يحدوها الاخلاص، وتسوقها الرغبة الصحيحة في الوصول إلى الله، والتمتع برضائه في رياض الجنان: كان القوم يحنون إلى الواعظ والاستماع لعذب حديثه ودامغ حجته وقاطع برهانه، حنين الغريب إلى وطنه والجدب إلى ديمة القطر، لا لشيء سوى أن موعظته لله خالصة ومن قلب برىء طاهر هي صادرة، وثم يقولون في الحكم «خير الكلام ما خرج من القلب فانه يصل إلى القلوب»: كان الناس ينتظرون أيام الجمع بفارغ الصبر لأنهم كانوا يشعرون من أنفسهم أثناء الأسبوع بفراغ في قلوبهم لا يملؤه إلا الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة يسمعونها من هؤلاء القادة المصلحين، فتصقل قلوبهم وتروى ظمأ نفوسهم ومن ثم يخرجون من المساجد بقلوب بالايمان عامرة، ونفوس

مطمئنة باليقين فائضة، وهم يوطدون العزم على السير فى طريق الله بخطى واسعة متزنة، وأقدام ثابتة رزينة، ويقطعون العهود على أنفسهم بتنفيذ ذلك مهما كان فى سبيله من تضحية

لم يكن الخطباء والمرشدون يعولون فى خطبهم على عبارات خاصة أو يطرقون دائما مواضيع خاصة، وإنما كانوا يجارون الزمن ويسايرون الحوادث، ويعالجون الأمراض الأخلاقية والعلل الاجتماعية، بما أوتوا من إصابة فى الرأى وبراعة فى المنطق، وسلاسة فى العبارة، وحكمة فى البيان، وعذوبة فى الحديث، وقوة فى الحجة، وبالأحرى كانوا يلبسون لكل جديد لبوسه، ويعطون لكل موضوع حقه، ويأتون البيوت من أبوابها، فلم يكن الجمود من شيمهم، ولا التقليد من صفاتهم بل كانوا يعطون ما لقيصر لقيصر وما لله لله، وهكذا كان وعظهم مثمراً، وإرشادهم منتجا، ودعوتهم إلى الله تلقى آذانا صاغية، وقلوبا واعية، فتؤثر أثرها المطلوب، حتى كان عصرهم سيد العصور، وكانت أيامهم ربيع الأيام، فجزاهم الله عن الاسلام والمسلمين بأحسن ما يجازى به عباده المخلصين

وأظنني فى غير حاجة إلى إيراد أمثلة من خطاباتهم ونماذج من وعظهم ، لأن هذه المقالة لا تتسع لمثل ذلك والكثير من الكتب الاسلامية مملوء بها

زها نجم الدين وتلألأ فى أفق العالم كله ، وساد المسلمون وكان لهم الحول ، والطول والقوة والمنعة والسلطان ، بفضل تمسك الأمة بدينها وقيام الوعاظ المرشدين بواجبهم على أكمل الوجوه التى ترضى الله ورسوله ، وبفضل تعارف الطرفين وتعاون الفريقين على الأخذ بأسباب الدين والنهوض به الى أوج العز والسعادة ، وهكذا قد كان

مضى على هذا وقت طويل كان الدين فيه مفخرتنا وعدتنا وعتادنا ، إلى أن أراد الله وإرادته النافذة ، أن أخذ الناس يتطلعون إلى زخارف الحياة ، ويتعلقون بأسباب النعيم الزائل ، ويتهافتون على الحطام الفانى ، وهم ينسون الدين أو يتناسونه : وفى هذه الفترة أخذ سلطان الدين يضعف شيئا فشيئا لهذه الأسباب ولأسباب أخرى ليس هذا محل ذكرها ، والقلوب تتحجر رويدا رويدا ، والزمن يبعد بنا عن

عهد رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين وأصحابه المهديين حتى طال علينا الأمد فقست القلوب ، وفسدت النفوس وكانت معاول الهدم والتخريب تعمل عملها من جهة أخرى ونفثت فى عضد الاسلام والمسلمين. تلك هى الحضارة الخاسرة التى طغى علينا سيلها ، والمدنية الكاذبة التى جرت علينا الخراب والدمار من الوجهتين المادية والأدبية

وهكذا قضى الله أن صارت الجرائم الأخلاقية والدينية ترتكب فى ضحوة النهار وعلى رءوس الأشهاد باسم الحضارة والمدنية من غير مبالاة ولا حذر وكأن صاحبها يأتى أمراً عاديا لا لوم فيه ولا تقريع : وأما الوعاظ المرشدون فقد فترت بطبيعة الحال هممهم ، وخمدت جذوة نشاطهم ، وصار الكثير منهم يقنع فى وعظه أن يلقى خطبة الجمعة منقولة عن أحد الدواوين القديمة البالية التى لا تجارى هذا الزمن ولا تساير حوادث هذا الجيل وتقلبات العصر الحاضر ، لأنها فى الحقيقة وضعت لأناس لهم أفكار غير أفكارنا ، ولهم ميول ورغبات غير ميولنا ورغباتنا ولهم علل وأمراض غير

علتنا وأمراضنا ، ولهم فى الحياة مسالك واتجاهات غير مسالكنا واتجاهاتنا ، فكانت النتيجة الطبيعية أن أعرض الناس بالضرورة عن الوعظ من هذا النوع ، فلم يصل منه إلى قلوبهم شىء : وهكذا سار الناس فى طريق والوعاظ المرشدون فى طريق آخر ، وتناكر الطرفان ، وتجافى الفريقان ، فتضاعف الداء وعز الدواء ، وصارت المسألة من الصعوبة بمكان ، حتى قيض الله للاسلام والمسلمين والشرق والشرقيين ، رجلا عاملا بالاخلاص والوفاء لدينه وشرقيته ، معروفا فى الحق بقوة إرادته وصراحته وصلابته ، فزأر زأرة رن صداها فى أنحاء العالم الاسلامى ، وصرخ صرخة أيقظت الهمم من سباتها وشحذت العزائم بعد فتورها ، ونفخ فى المسلمين روحا جديدة وربى فيهم أعصابا تحس وتتألم ، ونبههم إلى مكامن الداء ومواطن الدواء ، ذلك هو ساكن الجنان الزعيم المسلم السيد جمال الدين الأفغانى

ولكن لم تطل الأيام بعهده ، ولم يبق عليه الموت حتى يجنى نتيجة جده وتعبه وثمار غرسه ، فاختطفته المنية مأسوفا

عليه ، فقام من بعده تلميذه وخليفته أستاذنا الامام العالم العامل النابه الشيخ محمد عبده وكان والحق يقال خير خلف لخير سلف ، فنسج على منواله وسلك طريقه ، واستطاع بالرغم من الصعوبات التي اعترضته أن يغرس هذه المبادىء السامية في نفوس كثير من أصحابه وتلاميذه ومعاصريه نخص منهم بالذكر أستاذنا العلامة القدير السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء ، التي لها من اسمها أكبر نصيب حيث ترفع في كل يوم منار الاسلام وترمي بسهمها الصائب في الذود عن بيضة الدين

ولقد بر السيد وفقه الله وقواه بأستاذه المرحوم الامام وأدى واجب التلميذ لأستاذه خير أداء ، فأخذ على عاتقه أن يتمم عملا جليلا خطيرا كان الامام رحمه الله أخذه على عاتقه ووافته المنية بعد البدء فيه : ذلك هو تفسير القرآن الكريم

أقول استطاع الأستاذ الأمام أن يبث فكرته ومبادئه في كثير من أنصاره وأصحابه وتلاميذه ، وقد كان رحمة الله عليه يرمي إلى مشاريع تكون نواة لنهضة الاسلام لولا أن

المنية عاجلته قبل نفاذ المراد فاختاره الله لجواره محوطا بالمهج مشيعا بالقلوب : ولكن العهد لم يطل بنا كثيرا حتى رأينا في سماء الأمل بريقا يشع ما بين حين وآخر ، ولم يلبث المسلمون أن بدت لهم حركة مباركة من جماعة ممن هدى الله ينادون بنصرة الدين والعمل لتأييده ، ويهيبون بالمسلمين أن يجعلوا من بينهم سياجا حصينا متينا يمنع تسرب الإلحاد والزندقة إليه

وكانت حركة مباركة ، وكان نداء موفقا مسموعا فتألفت جمعية مكارم الأخلاق الاسلامية يضطلع بشؤونها فضيلة الأستاذ الموفق الشيخ محمود محمود وكيلها ، ثم تشكلت جمعية الشبان المسلمين بزعامة الرجل المسلم الدكتور عبد الحميد بك سعيد ، وتشعبت شعوبها ، وتعددت فروعها في القطر المصري وسائر الأقطار الاسلامية تقريبا : ثم تكونت جمعية الهداية الاسلامية برئاسة الأستاذ الجليل والشيخ الوقور السيد محمد الخضر الحسين : أخذت هذه الجمعيات تعمل وتجالد بأقلام رجالها وألسنتهم ، تقيم المحاضرات العامة في الموضوعات

الدينية والأخلاقية والاجتماعية ، يؤمها الناس متسابقين إلى استماعها وهم جذلون فرحون : وتبعث برجالاتها الى المساجد في أيام الجمع والمواسم يخطبون الناس ويلقون المحاضرات في شتى المواضيع بهمة عالية وعزم صادق وغيرة شديدة ، وتدبج براع نخبة رجالها المقالات الشيقة ، وتعقد الفصول المتعة وتجول في ميادين تفسير كتاب الله تعالى وشرح سنة رسوله عليه السلام وآثار أصحابه وما يعود بالفائدة على المسلمين جولات صادقة

وهكذا يؤدون الواجب عليهم نحو أمتهم ودينهم على أكمل الوجوه وأحسنها ، فلا عدمتهم الأمة ولا فقدهم الدين جنودا مخلصين

ولقد شجعت هذه الحركة الميمونة نهضة طيبة مباركة قامت بها الجامعة الازهرية فعينت خمسين واعظا عالما من جلة العلماء النابهين ، يجوبون البلاد وينشرون آداب الدين ويظهرون محاسن الاسلام ، ويبثون في الناس مكارم الاخلاق

وعلى رأسهم هذا الشاب الأستاذ الجليل الشيخ عبد ربه مفتاح
فكان لهذا العمل أثره المحمود، ثم ما كان من سعي متواصل
لخضر صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
حتى برزت مجلة نور الاسلام إلى عالم الظهور مدافعة مجاهدة
مبينة محاسن الاسلام شارحة فضائل الدين بأقلام جهابذة
من كبار العلماء المطلعين المتضلعين الذين لهم شأنهم وخطرهم
في هذا العمل المجيد مما أطلق الألسنة بالثناء والدعاء لمولانا
شيخ الاسلام والمسلمين، ولقد أحسنت وزارة الأوقاف من
جهتها أيضا حيث عنيت بمسألة الوعظ والخطابة في المساجد
حق العناية فأخذت نفسها على ألا يعين في هذه الوظائف
إلا العلماء الذين يظهرون تفوقا ومهارة، ويشرفون هذا
المنصب الخطير فيؤدون واجبه حق الأداء

وهناك جماعات وأفراد قاموا بالواجب خير قيام، وأبلوا
في هذا السبيل بلاء حسنا، والله ولي المتولي جزاءهم على
هذا العمل المبرور والسعي المشكور كما نخص بالذكر من
العاملين الاستاذ الغيور على الاسلام والدين الاستاذ محب الدين

الخطيب فندى فانا نذكر له بمزيد الشكر والاعجاب جهوده
جهاد جريدته الأسبوعية « الفتح » فى هذا المضمار بكل ما
أوتيت من قوة . وكذلك لا ننسى جماعة الوعظ والارشاد
الاسلامى ولسان حالهم جريدة « التقوى » وما لها من
حسن الأثر فى تهذيب النفوس . وكذلك جماعة أنصار السنة
وعلى رأسهم فضيلة الاستاذ الكبير محيى السنة وميت البدعة
الشيخ محمود خطاب السبكى

كل هذه بوادر تبشرنا بانتعاش الاسلام وتألق نجمه
قريبا . وان فى المسلمين اليوم روحا جديدة سوف تتأصل
فى نفوسهم فيصبح الذين مضطهدين وأعز عزيز عليهم

فلهذا ولما كنت أعتقد من صميم قلبى ان من أخص
واجبات العالم ومن ألزم صفاته أن يكون بارا بدينه ، وحارسا
يقظا على تعاليمه وجنديا مخلصا فى الذود عن حياضه والدعوة
إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة بل ما خلق العالم إلا
ليكون كذلك

وإن شرفا كبيرا أن يتفضل المولى على فيجعلنى من

يعتلون أعواد المنابر، آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر حيث مقام الرسول الأعظم

فشكراً لله تعالى، وقياماً ببعض الواجب، وتلبية لطلب الكثير من إخوانى، وتشبهاً بهؤلاء الرجال حيث يقول الحكيم

تشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح

أدليت بدلوى فى الدلاء، ورميت بسهمي فى الميدان ووضعت كتابى هذا فى الوعظ والخطابة وأسميته « لسان المنبر » سائلا الله تعالى أن أكون قد وفقت إلى خدمة إخوانى المسلمين بصفة عامة، والوعاظ المرشدين منهم بصفة خاصة

والله أرجو أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يهيئ الأسباب إلى مواصلة الجهد فى هذا السبيل على أوفق إلى تقديم مجموعة أخرى من هذا النوع

وإنى أتوسل إلى حضرات الإخوان أن ينسجوا على هذا المنوال فى الوعظ والخطابة إن راق الكتاب فى أنظارهم

بأن يغفروا زلاتي، ويغضوا النظر عن هفواتي، فإن لكل جواد كبوة ولكل عالم هفوة: وأستعيذ بالله من شرور النفس والهوى، ومن النفاق والرياء، والصلف والخيلاء، ومن الشيطان الرجيم

وختاما أسأل الله الكريم أن يطيل في عمر حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك «فؤاد الأول» حامي الدين وصاحب الأيادي البيضاء، والمكارم الحسان الغراء، على الإسلام والمسلمين، ومؤيد هذه النهضة المباركة برعايته العالية وشاملها بعنايته السامية، وأن يقر عينه بسمو ولي عهده الأمير فاروق، مفخرة البلاد وذخر العباد إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير

المؤلف

تحريراً في ٢٠ رمضان سنة ١٣٥٠ محمود ابراهيم طايره

تحريراً في ٢٨ يناير سنة ١٩٣٢ من علماء الأزهر

(١) الجاهلية والإسلام

الحمد لله الذى وفق من أحبه إلى اتباع دينه القويم وسهل له سلوك طريقه وآدابه، أحمده وأشهد أن لا إله إلا الله العليم بما نخفى وما نعلن، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله الهادى لأقوم سنن، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين نهجوا نهجه القويم، الذين نسجوا على منواله، الذين ماسلكوا إلى الحرام طريقا، فأورثهم ربهم الجنة، يرزقون فيها بغير حساب. (أما بعد فيا معشر المسلمين) قال الله تعالى وهو أصدق القائلين (يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)

ياعباد الله: كان الناس قبل البعثة المحمدية يتخبطون فى ظلمات الجهالة والضلالة، كانوا أمة متفرقة كلمتهم، مبعثرة قوتهم، غير منظمة صفوفهم، قاسية قلوبهم، يشنون الغارات والحروب لأوهن الأسباب: فكانوا والحالة هذه فى أشد الاحتياج إلى دين يوحد كلمتهم، وينظم صفوفهم، ويكون

محبباطا يهتدون به فى ظلمات الحياة ، فبعث الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم نبيا أميا عربيا ، يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل والقرآن ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون .

بعث الله سيدنا محمدا وأنزل عليه الكتاب الكريم قرآنا عربيا غير ذى عوج ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، فيه تبيان لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين : بعث الله سيدنا محمدا بدين الاسلام الذى رضيه لعباده دينا (إن الدين عند الله الاسلام) فاستمسك المسلمون بهذا الدين الحنيف ، وائتمروا بأوامر القرآن الكريم وتخلقوا بأخلاق النبى ، وتأدبوا بآدابه ، فكان لهم الحول والطول والقوة والمنعة ، ماغالبهم عدو إلا غلبوه ، ولا قاتلهم خصم إلا قتلوه ، ولا نازعهم منازع إلا انتزوا ملكه واستباحوا مكان العزة منه ، حتى دانت لهم وجوه الجبابرة

وذلت لهم رقاب الأكاسرة ، وملكوا ناصيتي البر والبحر ، وأخذوا بطرفي المشرق والمغرب ، وكانوا خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ، بهم تمسك المسلمون بهذا الدين الحنيف فكانوا غرة في جبين العالم ، كانوا أمة حية ناهضة يخشى بأسها وترهب سطوتها ، ويحسب لها ألف حساب وحساب : مضى هؤلاء السلف الصالح مأسوفاً عليهم ، وخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً ، خلف من بعدهم خلف ، حارم الله ارتكبوها ، منهيات الله استباحوها ، مأمورات الله اجتنبوها ونبذوها ، وقطعوا الأسباب بينهم وبين خالقهم ورازقهم ، فترى المساجد في معظم أيام الأسبوع قد هجرت ، وترى الزكاة عن الفقير قد منعت ، وترى الأعراض على مرأى ومسمع منا قد هتكت ، وترى الخمور في الشوارع والطرقات جهاراً نهاراً قد شربت ، وترى أموال الأيتام بالباطل قد أكلت ، وترى المعاصي بأنواعها قد شاعت وذاعت وبغت رائحتها الكريهة حتى ملأت الوادي ، وظهر

الفساد فى البر والبحر، فانا لله وإنا إليه راجعون : خلف من
بعدهم خلف حاربوا الله فذهب عنهم نصر الله، وفارقهم عونه
وتأييده، وظهر عليهم عدوهم، وحلت بهم النقم من بين أيديهم
ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم، وما ربك بظلام للعبيد
أيها الناس ما الذي أصابنا حتى عمنا البلاء ؟ ما الذي دهانا
حتى حل بساحتنا الشقاء ؟ أطال علينا الأمد فقست القلوب ؟
أم خفى علينا سبيل الهداية الكاذبة خيب إلينا الذنوب وأغرقنا
فى لجة الهوى مع الغارقين ؟ فاتقوا الله عباد الله وتمسكوا
بدينكم، وتخلقوا بأخلاق نبيكم . واعملوا بما جاء فى كتابكم
تسعدوا وتسودوا . وتكن لكم الكلمة العليا على عدوكم
(يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)
واقتفوا آثار سلفكم الصالح، واعلموا أن الحياة وإن طالت
قصيرة، وأن الآخرة منا، قاب قوسين أو أدنى، وأن محاسب
الخلائق يومئذ الحكم العدل (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً
يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)

الحديث

قال رسول الله ﷺ اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن.

(٢) معرفة الله مدخلة التفكر

في مصنوعاته

الحمد لله مقلب الليل والنهار الحمد لله خالق السموات والأرض آيات لأولى الأبصار لا إله إلا الله فالق الحب والنوى، فالق الاصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً، ذلك تقدير العزيز العليم، أحمده وأشهد أن لا إله إلا الله القوى المتين، وأشكره وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله جاءنا بالحق المبين، فصلوات الله وسلامه وبركاته عليه وعلى آله وصحبه الذين عرفوا الله فعرفهم، وذكروا الله فذكرهم، وتأملوا في مصنوعاته ففاضت بالايمان قلوبهم، أسكنهم الله فسيح الجنات

أما بعد: فقد قال الله تعالى في القرآن الكريم (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب)

يا عباد الله: إن لله في كل شيء آية، إن لربنا في كل

خلوق علامة، تدل على أنه الاله القادر العظيم، الذى تلاشت كل قدرة أمام قدرته، وحارت الأفهام فى فهم بدائع صنعته، وقصرت العقول عن الاحاطة بكنه حقيقته (لا تدركه الأبصارُ وهو يدرك الأبصارَ وهو اللطيف الخبير) خلق سبحانه السموات بغير عمد ترونها، وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم، وبث فيها من كل دابة، وسخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها، وترى الفلك مواخر فيه، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون: جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر، وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى لتعلموا عدد السنين والحساب (وهو الذى جعلَ الشمسَ ضياءً والقمرَ نوراً وقدَّرهُ منازلَ وجعلَ لكمُ الليلَ لتسكنوا فيه والنهارَ مُبصراً إنَّ فى ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقلون): خلق الانسان بشراً سوياً خلقه من سلالة من طين، ثم جعله نطفة فى قرار مكين، ثم خلق النطفة علقة، خلق العلقة مضغة، خلق المضغة عظاماً فكسا العظام لحماً ثم أنشأه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين :

يا قوم : ما خلق الله هذه المخلوقات العجيبة وأبدع في صنعها بما يدهش العقول ويحير الألباب لتلهو بها ، أو تسلي نفسنا بعجيب صنعها ، أو تتمتع نظرنا بمشاهدتها ، كلا والله ! فليست هذه هي الغاية من صنعها ، وتعالى الله الحكيم العليم عن أن يرمي بهذه المدهشات المحيرات إلى غاية قصيرة كهذه الغاية : إن لمولانا تبارك وتعالى من وراء ذلك غاية سامية وحكمة عالية ، ومقصداً شريفاً ، وغرضاً لطيفاً ، وسراً مجيداً يليق بعظمة رب العالمين ، تلك الغاية أيها المسلم هي أن تتفكر في عجيب صنعها وبديع إتقانها ، بعقل صاف كالمرآة ، ونفس شريفة وروح طيبة ، فيهديك الفكر الصحيح بالعقل السليم إلى أن خالقها ومبدعها الإله العظيم الذي (لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون) : تنظر في هذه الكائنات العظيمة نظرة صادقة بعين منزهة عن العلة والغرض ، فترى فيها بارئ الكائنات ، ومبدع الأرض والسموات ، في شامخ عزه وعالي كبريائه ، فينطلق لساننا معبراً عما استكن في قلوبنا وفاضت

به نفوسنا، نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

نظر العربي في الجاهلية قبل ظهور الاسلام إلى السما وعظمتها، والأرض وزينتها، والبحار وأمواجها، والكواكب وأبراجها، نظر إلى هذه المخلوقات العجيبة نظرة صافية صادقة وحكم عقله وأرضى ضميره، فالبث أن قال بلسان الفطرة البصيرة تدل على البصير، والقدم يدل على المسير، سماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، لاشك تدل على اللطيف الخبير: فيا عباد الله ما بالنا نستظل بسمائه ونروى ظمأنا بمائه، ونستنشق صالح هوائه، ونغذى أنفسنا من خيرات أرضه، ونرى بأعيننا من الآيات البينات في الأرض والسموات، وعجائب المخلوقات، ما لا يقوى على فهمه عقل ولا يقدر على وصفه إنسان، ونتقلب في نعمائه آناء الليل وأطراف النهار، ونحن لاهون لاعبون ضاحكون فكهون وعن التفكير في آياته منصرفون، لا تفكرَ ولا تأملَ، ولا تعقل ولا تدبر، فقست قلوبنا، وانصرفت عن خوف الله نفوسنا، وشغلتنا أموالنا، ولعبت بنا ملاذ الحياة، وغرتنا

خارف الدنيا ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور . أليس الله يدعونا إلى التفكر والتدبر حيث يقول (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) وفي أنفسكم أفلا تبصرون ، أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت) فما أكفرنا بنعمة الله ، وما أقسانا على أحكام الله وما أشد مخالفتنا لأوامر الله ، وما أكثرنا ارتكاباً لما نهى الله وما أشدنا جوراً على حدود الله (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) يا قوم رحم الله عبداً تفكر فتذكر ، وتأمل فتدبر ، ورأى بعين بصيرته عظمة المولى فخاف ربه فقال الله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم : رحم الله عبداً عمل لآخرته ، وقدم لنفسه ماينفعها يوم تكون كل نفس بما كسبت رهينة (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه)

الحديث

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن قوماً تفكروا فى الله
عز وجل فقال النبى ﷺ « تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا
فى الله فانكم لن تقدروا قدره » وعن عبد الله بن عمير أنه سأل
عائشة رضى الله عنها فقال أخبرينا عن أعجب شىء رأيتيه
من رسول الله ﷺ قال فبكت وقالت كل أمره كان عجباً
أتانى فى ليلة حتى مس جلده جلدي ثم قال « ذرينى أتعبد لربي
عز وجل » فقام إلى القربة فتوضأ منها « ثم قام يصلى فبكى حتى
بل حجره ثم سجد حتى بل الأرض ثم اضطجع على جنبه حتى
أتى بلال يؤذنه لصلاة الصبح فقال يا رسول الله ما يبكيك؟
وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال « ويحك
يا بلال » وما يمنعنى أن أبكى وقد أنزل الله على فى هذه الليلة
(إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار
لآيات لأولى الألباب) ثم قال « ويل لمن قرأها ولم يتفكر
فيها »

(٣) التقوى

الحمد لله الذى جعل التقوى خير زاد ، وأمرنا أن نتزود بها ليوم المعاد ، لا إله إلا الله ولى المتقين أحمده وأشهد أن لا إله إلا الله لعظمته عنت الوجوه ، ومن خشيته أشفقت القلوب ، ولهيبته وسطوته دانت رقاب العالمين ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، كان أتقى الناس وأخوفهم من الله ، على ماله من جاه عظيم ، وما هو معلوم من أنه صفوة الخلق أجمعين ، وسيد الأنبياء والمرسلين ، فصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن هدا هديهم وسلك طريقهم من عباد الله الصالحين

أما بعد فيقول الله تعالى فى الكتاب الحكيم (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب)

ياعباد الله : أمرنا الله أن نأخذ الزاد لسفر بعيد المدى طويل المسافة ، شاق الطريق ، وعر المسالك ، مملوء بالعقبات محوط بالأخطار والمصاعب ، سفر ليس كأسفارنا هذه ، لاتشد

له المطايا ، ولا يهيا له الركاب ، ولا تبسط فيه الفرش ، ولا تتخذ وسائل الراحة ، ولكنه سفر مضن متعب ، لا ركاب فيه ولا مطايا ولا فرش ، ولا مضاجع ولا وسائد ، سفر زاده التقوى وخوف الله ، ووسائل الراحة فيه تأدية حقوق الله وحقوق العباد :

فاذا أنت ياعبد الله تزودت بالتقوى ، هان عليك أمر هذا السفر ، وذلت أمامك المصاعب ، وأمنت شر المتاعب ووضح لك الطريق ، وهيئت لك وسائل الراحة كلها ، ورعاك الله بعين عنايته ، وحفظك بكامل رعايته ، وأوصلك المولى إلى بر السلامة ، حيث الهناء المقيم ، فى جنات النعم

إذا أنت أيها المسلم تزودت بالتقوى ، أصبت الهدى والرشاد وحصلت لنفسك على شرف أبدى ، ونعيم أخروى ليس له من نفاد ، وكنت من الذين فتح الله قلوبهم ونور بصائرهم فرأوا عظمة البارئ جل علاه ، وتمكن خوفه من قلوبهم ، فراقبوه فى السر والعلانية ، والظاهر والباطن ، وغلبوا

الخوف على الرجاء ، وساروا على تواضع وخوف من الله ورضوان ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب أولئك قوم عرفوا أن الحياة بزخارفها عرض زائل ، وظل مائل . عرفوا أن الدنيا طريق إلى الآخرة ، ولكنه طريق محفوف بالمخاطر والمهالك والأهوال ، فساروا فيه على مهل ، حذرين خائفين ، واقفين عند حدود ما أمروا به ، يأخذون مالهم ، ويؤدون ما عليهم ، ويحسنون معاملتهم مع الخالق والمخلوق : وخوف الله تعالى قد ملك نفوسهم ، وتغلب على شعورهم وعواطفهم . فاتهموا أنفسهم ولم ينزلوا على هواها ، ولم ينيلوها مرامها ومناها ، فقطعوا الطريق سالمين فرحين مستبشرين ، بنعمة من الله وفضل ، والله لا يضيع أجر المؤمنين : أولئك قوم أحسنوا أعمالهم ، فلهم من الله الحسنى وزيادة ، ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ، أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون . فياحسن حظهم . وياسعادة حالهم وياهناءة عيشهم . يوم يتجلى الله عليهم برحمته ، ويمتعهم بالنظر إلى وجهه الكريم ، ويحييهم المولى تحية السيد المالك ، إلى

العبد المخلص الأمين فيقول لهم (سلام عليكم ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) يامناهم ويارضاهم، يوم يجنون ثمار أتعابهم ونتيجة جدهم واجتهادهم ، ويكافأون على إخلاصهم فى خدمة ربهم ، فيساقون إلى الجنة زمرا حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين

تلك ياعباد الله عاقبة المتقين ، تلك ياقوم نتيجة مرضية للخائفين المخلصين . هذا مآل الذين عاهدوا أنفسهم على تقوى الله ، والوقوف عند حدوده ، والعمل بأوامره ، والاقلاع عن معاصيه ومحارمه (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى) فاتقوا الله عباد الله يهيء لكم من امركم رشدا . اتقوا الله عباد الله يجعل لكم من الشدائد مخرجا ، ويرزقكم من حيث لاتحتسبون . اتقوا الله عباد الله يجعل لكم من عسركم يسرا ، ومن ضيقكم فرجا ، وينصركم على أعدائكم ، ويثبت أقدامكم ، (ومن

يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) اتقوا الله في أنفسكم الأمارات بالسوء خالفوها ، وإن محضتكم النصح فامهضوها ، واعتبروها أعدى أعدائكم وجاهدوها ، وحاربوها حتى تغلبوها وتقهروها ، وعندئذ لا يكون للشيطان عليكم سبيل ، وينقطع أمله منكم ، ويخيب رجاؤه فيكم ، وتصبحوا من حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون الفائزون الغالبون ولقد ورد في الخبر أن النبي ﷺ كان إذا رجع من غزوة قال « فرغنا من الجهاد الأصغر ورجعنا الى الجهاد الأكبر ألا وهو جهاد النفس فاللهم يا من أعنتنا على جهاد أعدائنا ، أعنا على جهاد نفوسنا »

اتقوا الله في خلق الله فلا تؤذوهم ولا تضروهم ولا تتعرضوا لهم بسوء ، فان المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، المسلم حقا من كف أذاه عن مخلوقات الله وأحب للناس ما يحب لنفسه ، وعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به . اتقوا الله في خلق الله فلا تمنعوهم حقوقهم ، ولا تأكلوا بالباطل أموالهم وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا

فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون اتقوا الله في الدين فقوموا بواجباته . اتقوا الله في الاسلام فلا تنتهكوا حرماته . اتقوا الله في القرآن فلا تخالفوا أحكامه وتهملوا آياته . اتقوا الله في شريعة محمد ﷺ فلا تضيعوها . راقبوا ربكم في أقوالكم وأفعالكم ومعاملاتكم وكل أحوالكم . واعلموا أن لكم ربا قاهرا جبارا لا تخفى عليه خافية وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما) اتقوا الله إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

الحديث

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يقول : « اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي . واجعل الحياة زيادة لي في كل خير . واجعل الموت راحة لي من كل شر »

(٤) وفاء الكيل والميزان

الحمد لله شرع بحكمته المكيال والميزان وأمرنا أن نقيم الوزن بالقسط ولا نخسر الميزان. فسبحانه من إله عادل حكيم، وجل ثناؤه من رب بعباده رءوف رحيم، أحمده وأشهد أن لا إله إلا الله شرع للناس ما فيه مصلحتهم وأتم عليهم سياجا من الحق والعدل يحفظ حقوقهم، ويكفل هناءهم، ويضمن لهم العيش الرغيد. فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين. وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، كان يأخذ الحق ويعطي الحق، كان يعامل الناس بالعدل والاحسان. كان لا يطفف الكيل ولا يخسر الميزان. كان مثال العفة والأمانة والنزاهة والايمان

وكيف لا يكون كذلك من امتلأ قلبه بخشية الله فسار على هدى وتقوى من الله ورضوان. فصلوات ربي وسلامه وبركاته على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، تعمدهم

الله بالرحمة والرضوان ، وأسكنهم فسيح الجنان

أما بعد فيقول الله تعالى وهو أصدق القائلين (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الذين إذا اكْتَالُوا على الناس يَسْتَوْفُونَ وإذا كالوهم أو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم . يومَ يقومُ الناس لربِّ العالمين)

ياعباد الله إن الناظر إلى تعاليم الدين الاسلامي الحنيف . يملأ فؤاده فرحا وسروراً . ويزداد قلبه يقينا وإيمانا ويشعر من قرارة نفسه بإجلال وإعظام ، وإكبار واحترام لدين الاسلام ، ولايخالجه أدنى شك فى أن هذا الدين ، جدير بأن يسمى دين الهداية ، وعلم العدالة ، ورسول السلام ، ولايسمه إلا التسليم بأنه حقا رمز الحضارة ، وآية التقدم ، وعنوان السعادة ، وناشر لواء المدنية والعمران ، فى كل زمان ومكان دين (لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وكيف لايكون كذلك

ومن شعاره تقديس الحقوق ، وصيانة المصالح ، والترغيب فى أعمال الخير ، والتنفير من أعمال الشر ، والحث

على تادية الأمانات ، والعدالة فى الخصومات ، وصلة القرابات وتقديم المساعدات فى الشدائد والكربات ، وكف الأذى عن المخلوقات ، والنكير على من يرتكب الموبقات . وغير ذلك كثير وكثير ، مما لا مجال لشرحه الآن . فحمداً لله على ماهدانا إلى هذا الصراط المستقيم . وشكراً له على ما وفقنا إلى اعتناق هذا الدين القويم

وضع هذا الدين نصب عينيه حقوق العباد ، فأوصى باحترامها ، ووضع لها من الضمانات القوية ما يكفل صيانتها وسن لها من الوسائل مايضمن حفظها وعدم التعدى عليها

فمن ذلك أنه شرع المكيال والميزان فى البيع والشراء ، وأمرنا أن نوفيهما حقوقهما كما ينبغى ، ليكون نظام المعاملات بين العباد جاريا بكل دقة ونظام ، فلا تعدى لاغتيال ولاظلم ولاعدوان . ولا أكلا لأموال الناس بالباطل

انظروا إلى قول الله تعالى « وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم » « والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا فى الميزان . وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا

الميزان » « ويا قوم اوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا
الناس أشياءهم) وغير هذه الآيات كثير

من هذا ترون يا قوم أن الشرع الشريف اعتنى كثيرا
من الكيل والميزان وشدد علينا فى ضرورة الوفاء بهما ،
اعطائهما حقهما ، ولكنى أقول والأسف يملأ فؤادى ،
نحن معشر المسلمين أصبحنا الآن لا نهتم قليلا ولا كثيرا
من الكيل والميزان . فالسرقة فى المكاييل والموازين حاصلة
علنا فى رائعة النهار ، وعلى ملأ الأشهاد . السرقة فى
المكاييل والموازين لا يتورع فيها إلا النذر اليسير ، ولا
يتعفف عن ارتكابها إلا النفر القليل . أصبحت السرقة فى
المكاييل والموازين والغش فى المعاملة عنوان المهارة ، ودليل
التفوق فى عرف سادتنا البائعين . فلان بائع ماهر . معناه
فى عرفهم أنه فلان محتال يعرف كيف يغش فى معاملته .
يعرف كيف يطفف الكيل ويخسر الميزان ، يعرف
كيف يداجى عميله ويضحك عليه ، ويغطى على عقله . يعرف
كيف ينصب عليه ويحتال حتى يعطيه العشرة خمسة ليحصل

من وراء ذلك على قليل من الحطام الفانى يسد به جشعه ، ويرضى نفسه الخبيثة ، ولا يلبث هذا القليل أن يزول عنه مباركه فيه ، ويبوء صاحبنا بالخيبة والندامة ، ويقعد بالاثم والخسران المبين ، ومالى أذهب بعيدا وقد وقع لأكثرنا ذلك عشرات المرات من هؤلاء المحتالين ، الذين يحملون من البيع والشراء ستارا يقفون وراءه ، ليتوهموا فريقا من أموال الناس بالاثم وهم يعلمون . وكم كانت دهشتنا عظيمة ، وخجلنا كبير . عندما نعود إلى بيوتنا ، فنجد بضاعتنا قد لعبت بها يد السرقة ، وعبثت بها الذمم الخربة ونجد خشية الجبار قد نزعت من القلوب

ياعباد الله اسمحوا الى أن أصارحكم الحقيقة المرة . فان الناس أصبحوا ماديين فى جميع مظاهرهم . فهمة الجميع جمع الأموال ، من حرام أو حلال ، وغاية الكل اقتناء الاموال بأى حال من الأحوال . وشاغل الكل الحصول على الأموال . ويستوى بعد ذلك فى نظرهم الحرام والحلال فنقص فى الميزان ، وتطفيف فى الكيل ، وأيمان كاذبة وتدليس

وغش فى المعاملات . وكذب صراح فى الأخذ والعطاء . وخراب فى الذمم . وسواد فى القلوب . ومخاتلة ومخادعة . ومواربة ونفاق . وحالة سيئة من جميع وجوهها فلم كل ذلك للمال وفى سبيل المال . وبغية الحصول على المال .

هذا المال الذي فى سبيله تداس الكرامة وتباع الشهامة ويضحى بالشرف والانسانية وينسى الانسان ربه ودينه وضميره وأخلاقه وآدابه

ألا قاتل الله المال ، فإنه عرض زائل وظل مائل ، وأصل الشقاء وسبب البلاء . إنه زخرف كاذب من زخارف الدنيا وشهوة فانية من شهوات الحياة : هو ذلك الذى يميل بصاحبه من الحق إلى الباطل . ومن الرشاد إلى الغي . وأخيرا يرمي به فى الهاوية . حيث الشقاء الأبدى والخسران المبين

هذا هو المال فهل يصح أن نبيع به ديننا : هل يصح أن نضحي على جنباته أخلاقنا وآدابنا ، وشرفنا وضميرنا وآخرتنا ؟ اللهم لا . ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

ألا فليعلم المطففون والغشاشون أن ما أخذوه من

أموال الناس بالغش والسرقة . لايسمن ولا يغنى من جوع
وأنهم إن أكلوا فإنما يأكلون فى بطونهم نارا ، وسيصلون
سعيرا . ألا فليعلم المطففون ومن فى حكمهم ان الله توعدهم
بالويل والهلاك ، والخراب والدمار ، وأعد لهم العذاب الأليم
فى نار الجحيم ، ألا فليعلم المطففون والغشاشون ، أن هنالك
يوما تقشعر من هوله الأبدان ، وسوف يحاسبون حسابا
عسيرا : سوف يتعلق أرباب الحقوق بأعناقهم ، ويمسكون
تلابيبهم . ويطالبونهم بحقوقهم ، فماذا يفعلون يومئذ
والموقف رهيب ؟ ماذا يفعلون ساعتئذ والناقد بصير ؟ ماذا
يجدون وقتئذ ولا مال ولا ولد ولا عير ولا نفير ؟ ماذا
يفعلون حينئذ واليد لا تملك والباع قصير ؟ يا حسرة عليهم
ويا ألف حسرة يعطى هذا من حسناتهم وهذا من حسناتهم
فاذا فنيت حسناتهم ، قبل أن يقضى ماعليهم ، أخذ من خطايا
الناس فتطرح عليهم . ثم يلقون فى النار وبئس القرار . هذا
وأيم الحق مصير المطففين : هذا وشر الصدق ما آل
إليه الغشاشين الدجالين ، المحتالين المخسرين ، الذين لا يراقبون

الله ، ولا يخشون عذابه ، ولا يخافون عقابه ، ولا يرهبون بأسه . ولا يمتدون بسطوة الجبار ذى القوة المتين . ألا فليعلم المطففون ومن فى حكمهم أنه كان فيمن قبلهم من الأمم أمة اسمها مدين ، كانت تطفف الكيل وتخسر الميزان وتغش فى معاملاتها ، فأرسل الله إليهم سيدنا شعيبا عليه السلام ، يأمرهم بأن يوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا يبخسوا الناس أشياءهم ولا يعثوا فى الأرض مفسدين فلم يسمعوا كلامه ، ولم يلبوا نداءه ، وقالوا له ساخرين مستهزئين « ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا ، أو نفعل فى أموالنا ما نشاء »

فأرسل الله اليهم جبريل عليه السلام فصاح من فوقهم صيحة أهلكتهم فأصبحوا فى ديارهم جاثمين (كأن لم يغنوا فيها ، ألا بُعداً لمدين كما بَعِدَت ثمود)

فاتقوا الله معشر البائعين . ولا تطففوا الكيل ولا تخسروا الميزان . فإن هذا حرام يغضب الديان (بَقِيَّتُ اللهِ خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين)

اتقوا الله معشر التجار ، ولا تغشوا الناس ولا تبيعوا بدينين ولا تتعاملوا بذمتين . وليكن الصدق رائدكم . واطلق شعاركم ، تربح تجارتكم وتنتعش صناعتكم . وتأتكم السعادة دانية ، ويبارك الله لكم فى القليل ، وتحسن سمعتكم ، فان أغلى كنوز الدنيا حسن السمعة ، فإذا ضاع هذا الكنز أصبح الانسان خزفا مصنوعا

الحديث

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال

(يامعشر المهاجرين . خمس خصال إذا بليتم بهن . وأعوذ بالله أن تدركوهن . لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها ، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا . ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم . ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء . ولولا البهائم لم يمطروا . ولم ينقضوا عهد الله ورسوله إلا سلط عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما فى أيديهم . ومالم تحكم

أنفسهم بكتاب الله ويتخيروا فى ما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم)

وعن عبد الرحمن بن شبل رضى الله عنه قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن التجارَ هم الفجارُ) قالوا يا رسول الله . أليس اللهَ قد أحلَّ البيعَ ؟ قال (بلى . ولكنهم يحلِفون فيأثمون ويحدِّثون فيكذِبون)

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال (التاجرُ الصدوقُ الأمينُ مع النبيينَ والصديقينَ والشهداء والصالحينَ)

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (التاجرُ الصَّدُوق تحتَ ظِلِّ العَرشِ يومَ القيامة)

(٥) الدنيا والآخرة

الحمد لله الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير
الحمد لله الذى كل شىء فى قبضته وهو على كل شىء قدير
الحمد لله المتعالى عن المشاركة والمشاكلة والشبيه والنظير
سبحانه نسأله التوفيق لما يحبه ويرضاه ، أحمده وأشهد أن
لا إله إلا الله شهادة أنطق بها من صميم الفؤاد ، وأشهد
أن سيدنا محمدا رسول الله فضله مولاه على سائر العباد ؛
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى اله وأصحابه
والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فيأيها المسلم — مالك تنظر إلى عظمة الجبار
ولكن لاتحس ولا تتأثر ؟؟ مابالك ترى آثار هذه القدرة
الهائلة ولكن لاتعى ولا تتفكر ؟ مابالك ترمق بكلتا عينيك
غضب الجبار على العصاة ، ولكن لا تعتبر ولا تتذكر ؟؟
مالك يا هذا كأن قلبك من حديد ، وربما الحديد يلين ؟
أما يكفيك دليلا على قدرة مولاك تقلب الليل والنهار

أما يكفيك برهانا على الوحدانية ،سموات بغير عماد، وأرض سوداء تنبت الزرع والثمار والفواكه والأزهار : —

أما يدلك على ربك ،نجوم معلقة فى الفضاء باذن ربها وكوكبان عظيمان يضيئان العالم،أحدهما بالليل والآخر بالنهار؟ أما إنك بعد هذا مكابر معاند إن كنت لاتزال من الغافلين، أيها العاصى — تعست والله وغاب رشدك ، إنك مسكين لاتعرف الضار من النافع، ولا تميز الطيب من الخبيث . نعم أنت لاتعرف مايضرك مما ينفعك : حدثنى وأبيك من ذا الذي يترك جنة عرضها السموات والأرض،ويأخذ نتنا من الحطام الفانى لايسمن ولا يغنى من جوع؟

من ذا الذى يستبدل نعيما مقيما بلذة وقتية تمضى وتترك بعدها الخزى والخذلان والندامة والحسرة والخمول وتوبيخ الضمير

من ذا الذى يبيع هناء عظيما فى جنان الفردوس، بشقاء أبدى فى نار الجحيم، التى تأكل العظام وتلتهم الضلوع؟

من ذا الذي يشترى كأسا من زجاج فيه سم زعاف وموت أحمر من لون نار جهنم بأغلى الأثمان . ويرفض كأسا من فضة فيه خمر بيضاء لذة للشاربين لا لغو فيها ولا تأثيم ؟

من ذا الذي يحدثه نفسه أن يعرض عن الولدان والحور والمنازل والقصور ، والفواكه والثمار ولحوم الطيور ، والشراب الطهور ، والحياة السعيدة فى رياض الجنان ، حيث الأبرار والمقربون والشهداء والصالحون والجميع « دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين »

من ذا الذي يترك هذا كله ويضحى بهذه السعادة الأبدية السرمدية ، فى سبيل إرضاء الشيطان الرجيم واشباع النفس الغرورة الامارة بالسوء التى من طاوعها أوردته موارد التهلكة وأودت به فى قاع الهلاك المبين : يمين الله إن شخصا يبيع هذا كله رخيصا فى أسواق المعاصى وممارض الفسوق ، ومحاربة المولى الخالق الرازق ، لهو إنسان مجنون ، جدير بالازدراء والاحتقار ، حقيق بالاستهزاء والاستهتار ، وهيهات أن يحمل له إنسان بين طيات قلبه مثقال ذرة من تجلة واحترام

يا عباد الله — إن شخصا عنده مسكة من عقل ، أو مثقال ذرة من كرامة ، أو قليل من إيمان وثقة بالله ، يأبى عليه عقله وكرامته ، وإيمانه وثقته بالله ، أن يشترى الضار بالنافع ، وأن يستبدل الطيب بالخبيث ، وأن يبيع آخرته بدنياه ، وأن يؤثر إرضاء شيطانه على إرضاء مولاه ، وما كان لمثله من المجرمين أن يعيش حياته هادئا هانئا ، فرحا مغتبطا ، لأنه — والعياذ بالله — مصاب فى عقله ، مصاب فى خلقه ، مصاب فى أدبه ، مصاب فى دينه ، مصاب فى آخرته ، تجارته بائرة ، وصفقته خاسرة ، وحياته شقاء ، وعيشته بلاء ، كاسف البال قليل الرجاء ميت الآمال خائب الآراء : فنصيحتى له ولأمثاله من عماة القلوب ، أن يقبعوا فى عقر دارهم ، يندبون نجمهم الآفل وحظهم العاثر ، وليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون

أيها العاصى : تفكر فى أمرك قليلا ، وتدبر فى حالك مليا ، وانظر ماذا ترى ، ترى أن لك ربا رحيما ، خلقك من العدم وسواك ، وعلى مواائد كرمه ربالك ، وبنعمه التى لا تحصى

خصمك وحبك ، ثم هو بعد هذا كله يغفر للذين تابوا واتبعوا سبيله ، ويقيهم عذاب الجحيم ، وأن لك نبياً صادقاً أميناً ، مصباح الهداية ، ورمز الدراية ، ورسول النزاهة ، وصاحب الشفاعة في الخلائق يوم الزحام ، وأن لك ديناً على سائر الأديان ، ورضيه المولى ، واختاره لجميع الأنام « إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسلامُ » « اليومَ أَكْمَلْتُ لكم دينَكم وأَتْمَمْتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الاسلامَ دِيناً » (ومن يبتغ غيرَ الاسلامِ ديناً فلن يُقبلَ منه وهوَ في الآخرةِ من الخاسرين) وأن لك « قرآناً عربياً غيرَ ذي عِوَجٍ يَهْدِي بهِ اللهُ من اتبعَ رِضوانَه سبلَ السلامِ)

كتاب ناطق ، وحجة قائمة ، « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » وأن لك إخواناً مسلمين هم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله

فسار عليك يا هذا أن تشذ عن طريق الجماعة ، وأن يتاجر إخوانك في البر والتقوى ، وتتاجر أنت في تلك البضاعة

عار عليك يا أخي أن تكون لله ودينه عدوا ، وللشيطان صديقا ووليا : فالله جل جلاله من فوق سمائه ينادبك ، والنبي من داخل الروضة الشريفة يناجيك ، والقرآن الكريم من خلال بيانه وإعجازه يدعوك ، وأنا من فوق هذا المنبر أرجوك أن تقلع عن غيك وتماديك ، وتكون جنديا صادقا من جنود الدين ، تعمل لرفعته وتأييده ، ونصرته وإسعاده ، وأن تسلك سبيل الاستقامة ، فان غايتها الرشاد ، ونهايتها النجاح والفلاح ، علك يا أخي تفوز برضوان الله ، ويعمك فضل الله يوم لا ينفع المرء إلا ماقدمت يداه

واتقوا الله عباد الله ، واسألوه التوفيق لصالح الأعمال ، وارفعوا أكف الضراعة إليه ، أن يهدينا إلى سبيل الرشاد ، ويحقق لنا الآمال ، وأن يتولانا جميعا برحمته ورضوانه ، ويوفقنا إلى كل ما يوصلنا إلى الجنة ويقرب من نعيمها ، ويبعدنا عن كل مايقربنا من النار وسعيرها ، وأن يختم لنا بخاتمة الحسنى ، ويجعلنا من الذين لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ، أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ، ﴿وتوبوا إلى

الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء) رواه مسلم

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . واقرءوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) رواه البخاري ومسلم

(٦) في الحث على الحشمة

والنهي عن التبرج

الحمد لله يحب الحشمة والوقار ، الحمد لله يكره التبذل والاستهتار ، الحمد لله مقلب الليل والنهار ، لا إله إلا هو جلت قدرته ، وعظمت سطوته ، فسبحانه وتعالى عما يشركون ، أحمده وأشهد أن لا إله إلا الله أعد لأهل المجون النار ،

وأشكره أعد لأهل الاحتشام جنات تجرى من تحتها الأنهار ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله النبي المختار ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه السادة الأخيار ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون .

أما بعد فياعباد الله ، قال الله تعالى وهو أصدق القائلين

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ : وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ الآيات)

ياعباد الله — إن الله بعث سيدنا محمدا بدين الاسلام دين غير ذى عوج ، فيه هدي للناس وتبيان لكل شيء ورحمة وبشرى للمسلمين : من أجل النظر فى تعاليم هذا الدين الحنيف ، وجدها دائما تحث على الفضيلة ، والتمسك بأهدابها ، وترمى إلى غرسها فى قرارة النفوس عن طريق

حبيبها إليها ، وشرح منافعها العظيمة الواضحة التى لا تخفى على ذى عينين : من أنعم النظر فى مبادىء هذه الشريعة الغراء ، وجدها قائمة على أساس متين ، لا يختل نظامه ، ولا يتصدع بنيانه على مر الأيام وكر الأعوام ، ذلك الأساس هو الفضيلة بجميع أنواعها ، ودين أساسه الفضيلة جدير بأن يكون دين السعادة والهناء ، دين الرفعة والمجد والشرف ، دينا صالحا لجميع الأجيال وملائما لكل الأذواق على اختلاف نزعاتها ، ومتمشيا مع كل حضارة وتقدم ، حتى يرث الله الأرض وما عليها

ياعباد الله — أمرنا الله بالتزام الحشمة والوقار ، والسير على خطة الاعتدال . وهى أقوم خطة تضمن للسائر عليها الهناء المقيم فى جنات النعيم ، أمرنا الله نساء ورجالا ، أن يغض الأجنبى نظره عن الأجنبية ، وأن تغض الأجنبية نظرها عن الأجنبى فلماذا أمرنا الله بذلك ؟ أمرنا الله بغض النظر عن الأجنبيات لأن النظر وسيلة من وسائل الشيطان التى يتوسل بها إلى ابن آدم ، وشرك من شراكه الذى ينصبه للمسلم ليقع فيه ، وسهم مصوب إلى القلب يجعله يضطرب ويهزم ، فيحتله

الشيطان غنيمة باردة ، ويلعب بصاحبه كما يلعب الهواء بالريشة ، ويعبث به كما يعبث الطفل بالعصفورة ، ويستخدمه ويسخره كما يحب ويهوى ، وأخيرا يرميه فى حضيض المذلة والهوان : فتحريم النظر إلى الأجنبية والأجنبى تشريع حكيم ، وتصرف معقول ، وخذلان للشيطان فى أول خطوة من خطواته التى يتقدم بها الاغراء المسلم ، على أن يعصى رب العالمين : تحريم النظر إفساد لتدبير الشيطان من أوله ، وقطع لطامعه فى المسلم ، وهزيمة أى هزيمة له ، وحصن منيع يعتصم به المسلمون . أمر الله النساء ألا يبدين زينتهن إلا لأزواجهن أو آبائهن ، أو من يتصل بهن من الأقارب ، وألا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، مبالغة فى الاحتشام ، وحثا على الوقار ، وما يجب أن تكون عليه المسلمة من المحافظة على الكرامة بما يتفق مع آداب الاسلام وعظمة الدين : فالمولى بهذا التشريع الحكيم قطع على الشيطان جميع السبل ، وأخذ عليه كل الطرق ، وسد فى وجهه جميع المسالك ، وضيق عليه الخناق ، حتى لا يجد أمامه منفذاً ينقض

منه على المسلم ويفسد عليه إسلامه ، ويوقعه في الغواية والضلال المبين : فيأيها المسلمون : هل نحن على حد ما أمر به الدين ؟ وهل نفذنا ما حثنا عليه القرآن ورسمه لنا الاسلام ؟ كلا . فنحن بكل أسف على عكس ما أمرنا به الله تماماً فالنساء تهتكت وتبذلت ، وخرجت على تعاليم القرآن والدين خروجاً عابه علينا العدو قبل الحبيب ، وانتقده علينا الأجانب قبل الوطنيين : النساء رمين الحجاب ونبذن براقع الحياء . وتركن كل التقاليد الاسلامية ، وأصبحن بحالة تدمى القلوب : أصبحن بحالة تستفز الجبان ، وتستنفد صبر الحليم : لقد أصبحت النساء بحالة يندى لها جبين الانسانية ، وتحمر لها الوجوه خجلا وحياء ، ويأسف لها كل من كان في قلبه مثقال ذرة من الغيرة على مجد الدين : كان المنتظر من الرجال وحالة النساء هذه ، أن يعملوا على إزالة هذه الحالة الغريبة الشاذة في تاريخ الاسلام ، وإيقاف النساء عند حدود الشرع الشريف ، وتعاليم القرآن الكريم ، ولكن أقول ، والأسف يملأ فؤادي ، أن الرجال أصحاب العقول السليمة ، الذين نصبهم الله قوامين على النساء . كانو

أبلغ من النساء فى الكيد للدين، والخروج عليه، وإقامة الحرب العوان على تعاليمه : فترى الرجل المسلم المتزوج يحدق النظر البارد فى الأجنبية ويدقق ويرمق ويبحث عنها وينقب: ويا ليت الأمر وقف عند هذا الحد، بل داهية الدواهى ومصيبة المصائب، أن المسلم ابن المسلم يتتبع خطوات المسلمة ويختلسها النظرات، ويخاطبها بالبذىء من الكلام، ويتوجه إليها بالفاحش من القول، ويأتى من الألفاظ بما تقشعر له الأبدان، وتأباه الطباع السليمة، والتربية الصحيحة، التى أخذنا بها الدين : يمشى المسلم وراء المسلمة، ويحتال عليها بكل الوسائل الشيطانية للقرب منها، على مرأى ومسمع من إخوانه ومواطنيه، وهو آمن مطمئن، كأنه يأتى عملا عاديا لا شىء فيه ولا ينكره عليه دين ولا عرف ولا شرع ولا قانون : ولكن لا عجب فقد قيل : « إذا قل ماء الوجه قل حياؤه » ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم : يا مسلم يا ابن المسلم كيف تسمح لزوجتك أو بنتك أو أختك، أن تتبرج هذا التبرج الفاحش المخزى، الذى تأنف منه النفوس، ثم تخرج وحدها من

بيتها وهي تتهادى فى الشوارع والطرقات ، وأنت تعرف أن الجو مكفهر ، وأن الوسط موبوء ، وأن ذئاب الانسانية واللصوص الأعراض ، على مرأى ومسمع منك ، وهم على أتم الاستعداد لتنفيذ مآربهم الشيطانية ، ومقاصدهم الابليسية ؟ فبالله عليك أين شهامتك الاسلامية ؟ أين حميتك الدينية ؟ أين غيرتك العربية ؟ أين شرفك أين عرضك أين إباؤك أين شعورك أين كرامتك ؟ ؟ بالله يا هذا عارٌ عليك أن تقف جامداً : حدثني بربك كيف يكون حالك إذا مرت بك زوجتك ، أو أختك أو بنتك ، وهي بحالتها الفاضحة ومنظرها المؤلم ؟ ؟ وماذا يكون موقفك وأنت ترى ذلك الفاجر الأثيم ، الذى نضب ماء وجهه يتعقب خطواتها أيسرك هذا المنظر المسيء ؟ ؟ أيرضيك هذا الموقف المشين تعجبك هـذه الألفاظ الجارحة تُوَجَّهُ إلى أقرب الناس إليك ؟ ؟ أيها المسلم كيف تدفع بامرأتك المسلمة فى هذا التيار الجارف الذي يكتسح أمامه كل كرامة ؟ ؟ كيف تزج بامرأتك بيدك فى هذا الحضيض ؟ ؟ كيف ترمى بامرأتك

في هذا الوسط المسمم بجراثيم الأمراض الاجتماعية المملوء بالاباحية والفوضى الأخلاقية ؟ هل ذهب العقل ؟ أم على عينيك غشاوة فلا تميز الخبيث من الطيب ؟ أم هو بلاء مبين وشر مستطير ، أم هي مصيبة طامة ، تهددنا بسوء سمعتنا وزوال مجدنا التالد ، الذي ورثناه عن أسلافنا الصالحين ؟ أيها المسلمون : أليس من العار الفاضح ؟ أليس من المؤلم للنفس ؟ أليس مما يوجب الأسى والأسف ، أن نرى شابا مسلماً متعلماً يتسكع في الشوارع والأزقة ، وهو يطارد النساء ، ويغازل الفتيات بوجه كالح بارد ، ليس فيه حياء ، ولا ضمير عنده يؤنبه ، ولا شعور له يوبخه ، ولا وازع له من الدين يردعه ، وأن نرى امرأة خليعة متبرجة ، قد أباحت نفسها للخاص والعام ، وجعلت كرامتها وكرامة أهلها وعشيرتها ، موضعاً لأحاديث الناس وأقاويلهم ، ومورداً يرد الشارد والوارد ، فكانت وبالا على نفسها وأهلها ، وفتنة من فتن الحياة وشرورها ، فصارت مصداق قول الصادق الأمين « ما تركتُ بعدي فتنة أضرّ على الرجال من النساء »

أيها المسلم : لماذا تسمح لامرأتك بالخروج من المنزل إلى ميادين الفضيحة والرذيلة ؟ ؟ وأى فائدة تجنيها من وراء ذلك غير العار الفاضح والخسران المبين : : ألم يكن الأجدر بك وأنت مسلم محمدى ، دينك الاسلام أبو الفضيلة ، وشعارك القرآن الكريم الذي نصبك قواماً على المرأة أن تقوم أخلاقها ، وتعدل معوجها ، وتوقفها عند حدودها ، وتعلمها أمور دينها وما يجب عليها نحو ربها وزوجها وأولادها ، خصوصاً أن المرأة ناقصة فى العقل والدين : : اتقوا الله عباد الله وقفوا عند حدودكم ، والتزموا الحشمة والوقار فى كل أعمالكم واتقوا الله فى نسائكم ، ولا تسمحوا لهن بالتبرج والخلاعة ولا بإكثارهن الخروج فى هذا الزمان الفاسد ، وعفوا تعف نساؤكم واستقيموا تستقم زوجاتكم ، احتشموا تحتشم نساؤكم : وقولوا لهن قول المولى جل علاه لآل بيت النبي عليه السلام (وَقَرْنَ فى بُيوتِكُنَّ ولا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهليةِ الأولَى وأَقِمْنَ الصلاةَ وآتِينَ الزكاةَ وأَطِعْنَ اللهَ ورسولَه

إنما يريدُ اللهُ ليُذهِبَ عنكم الرِّجسَ أهلَ البيتِ ويُطهِّرَكم تطهيراً)

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « كل عين زانية ، والمرأةُ إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية » رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « صنفان من أهل النار لم أرَهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رءوسهن كأسنمة البُخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليُوجَدُ من مسيرة كذا وكذا » رواه مسلم

وعن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول ﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله ﷺ وقال « يا أسماء إن المرأةَ إذا بلغت المحيض لم يَصلُحْ أن يُرَى منها إلاّ هذا وهذا » وأشارَ إلى وجهه وكفيه رواه أبو داود

(٧) غرور الانسان

الحمد لله الذى خلق الانسان من سلالة من طين، ثم جعله نطفة فى قرار مكين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه، وجعل لكم السمع والأبصارَ والأفئدة لعلكم تشكرون، أحمده وأشهد أن لا إله إلا الله الخالق الرازق. القابض الباسط. الضار النافع. المقسط الجامع. الحكم العدل اللطيف الخبير وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله نبى الرحمة، وهادى الأمة. جاءنا بالنور الساطع والسعادة التامة، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن نحا نحوه وسار فى طريقه إلى يوم يبعثون: أما بعد فيقول الله تعالى وهو أصدق القائلين (يأيها الانسانُ ما غرَّكَ بربِّكَ الكريم الذى خلقَكَ فسوَّاكَ فعدَلَكَ فى أىِّ صورةٍ ما شاءَ ركبَكَ) يا عباد الله. ما أعظم آيات الله الدالة على عظمته فى خليقته. وما أكثر براهينه الناطقة على

قدرته فى ربوبيته . وما أظهر دلائله على أنه بديع معلوم النظير فى صناعته (يُخرِجُ الحيَّ من الميِّتِ ويُخرِجُ الميت مِن الحيِّ ويُحيِي الأرضَ بعدَ موتِها وكذلك تخرجون. وهو الذى يبدأُ الخلْقَ ثم يُعيدُه وهو أهْوَنُ عليه . ما خَلْقُكم ولا بَعْثُكم إلا كَنَفْسٍ واحدة ، إن الله سميع بصير)

يامسلم انظر إلى نفسك نظرة صادقة، وتأمل فى خلقك بحكمة وعين منزهة عن الهوى والغرض، وانظر ماذا ترى ؟ ترأن المولى خلقك من نطفة مذرة تعافها نفسك : خلقك من ماء قذر يأنف منه طبعك، خلقك من مادة لزجة يشمئز منها الانسان ويعتريه التقزز إذا أقبل عليها : من هذا خلقك ربك أيها المسلم، وجعلك بشراً سويا : من هذا كوَّنك ربك أيها المسلم وجعلك إنساناً عَلِيًّا : من هذا أنشأك البارى جل علاه وأوجدك من العدم خلقاً جليا (ولقد خلقنا الانسانَ من سُلالَةٍ من طين، ثم جعلناه نطفةً فى قرارٍ مكين ، ثم خلقنا النطفةَ علقةً ، فخلقنا العلقةَ مُضغةً ، فخلقنا المُضغةَ عِظاماً

فكسونا العظام لحماً ، ثم أنشأناه خلقاً آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين)

خلقك الله على صورتك هذه إنساناً كاملا ، مستوى القامة ، متناسق الأعضاء ، متساوى التركيب ، وجملك بعقل راجح تميز به الضار من النافع ، وتفرق بين الغث والثمين وجعلك سيد المخلوقات على وجه الاطلاق ، وسخر لك الوحوش الضوارى ، وملكك قياد الحيوانات الكواسر ، تسيرها جميعاً فى خدمتك ، وتسخرها كلها فى مصلحتك ، فتمضى باذن الله طائعة راضية ، وعلى مرارة الجوع وحرارة العطش صابرة (إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) : خلقك الله على حالتك الحاضرة ، تام الخلقة حسن الهندام ، معتدل القوام ، فصيح الكلام ، وزينك بما ليس فى قدرة أحد من العالمين : ألم يهبك من فضله للنظر عينين ؟ ألم يركب فيك من جوده للسماع أذنين ؟ ؟ ألم يجعل لك بقدرته للمشى رجلين وللبطش يدين وللتنفس رئتين ؟ ألم يهدك النجدين ويوضح لك الطريقين ؟ ؟ فهلا يا أخى بعد هذا شكرت فضل

هلا يا أخي بعد ذلك مضيت فى خدمة الله ؟ هلا يا أخي استحييت من الله؟ أو أشفقت من خشية الله، أو كنت من حزب الله، وحزب الله هم المفلحون؟ كلا وألف مرة كلا: أنعم الله عليك من منشئك إلى منتهاك، وخصك سبحانه بالجود والاحسان ومن شر ما تخاف وقاك وحماك، ولكنك بالأسف بلت هذا الجود بالجحود والنسيان. قابلت هذا الجميل بالعناد والكفران. قابلت هذا الاحسان بالاساءة والنكران حاربت ربك الخالق الرازق بالفسوق والعصيان، وما تفكرت ولا تدبرت، ولا اتعظت ولا شكرت، ولا مضيت فى خدمة البارى، ولا لأصلك تذكرت. بل طغيت وبغيت وتجبرت وعصيت. وصدق الله العظيم القائل فى الكتاب الكريم (وإذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه. وإذا مسه الشر كان يؤوسا)

بالله ما أقسى قلبك يابن التراب وما أظلمك، وما أشد نكرانك للجميل وما أغشمك: وهبك الله عينين تتبين بهما سبيل الرشاد، فما نظرت بهما إلا لما حرم الله. منحك لسانا

تعبر به عما فى ضميرك ، فصيرته سمعا وعلقها على مخلوقات الله
خلق الله لك رجلين تسعى بهما فى تحصيل رزقك ، فما سعيت
بهما إلا فيما يغضب الله . أعطاك أذنين تسمع بهما الخير وكلام الله
ورسوله ، فما سمعت بهما إلا أحاديث الغيبة والنميمة ، ما سمعت
بهما إلا اللهو واللغو ، ما سمعت بهما إلا كلام السوء والفحش
والخروج عن آداب الشرع والدين : خلق الله لك قلبا ليكون
وعاء مملوءاً بالخير ، مملوءاً بالعلوم والعرفان ، مملوءاً من اليقين
والايمان ، مملوءاً من هيبة الله وخشية الرحمن ، مملوءاً بحب
الخير لبنى الانسان ، ولكنك بالأسف عكست خلق الله
فملأت هذا القلب بالجحود والكفران : ملأته بالضلال
والخسران ، ملأته بالحقد والحسد ، وإضمار الشر للمسلمين ، حتى
أصبح قلبا غليظا كالحجر الأصم ، لا تعرف الرحمة إليه
سبيلا ، ولا يمكن للشفقة أن تسلك إليه طريقا : وهكذا
أصبحت مجموعة من الخبث واللؤم ، وخلاصة من السوء
والفحش ، لا ترقب فى مؤمن إلاًّ ولا ذمة ، ولا ترعى فى عهد
الله وفاء ولا أداء ، ولا ترعوى ولا تنزجر ، ولا تقوم لله

ر واجب الشكر ولا تعتبر ، وصدق الله العظيم حيث يقول
(خلق الانسان من نطفةٍ فإذا هو خصيمٌ مبينٌ)
أيها العاصى — مالك بقوتك مفتون ، وبحب المال مجنون ، أبلغت
بك الدرجة أن تنسى ربك الرحمن الرحيم ؟ هل بلغت بك الحالة
أن تعاند الملك الديان ، وتحارب الخالق الرازق ، القاهر الجبار
الذى إن غضب عليك فالهلاك والدمار ، والخراب والبوار
(إذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرَدَّ له) ،

أيها العاصى — عين الله لك يوم منحوس أسود من الليل
البهيم ، لك يوم تكون فيه طعمة لجهنم ووقوداً لنار الجحيم
لك يوم يطول فيه الحساب ، ويشتد العذاب ، وتضيع الأحساب
وتُنسَى الأنساب ، ويُهان الكريم (يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا
بنون إلاَّ مَنْ أتى اللهَ بقلبٍ سليمٍ) (ولم تكنْ لهُ
فئةٌ ينصرونهُ من دونِ اللهِ وما كانَ منتصراً . هنالكَ
الولايةُ للهِ الحقِّ ، هوَ خيرٌ ثواباً وخيرٌ عقباً)

ليت شعرى لو أنصف العصاة ، وتذكروا فى آلاء الله

التى يسديها إليهم ، ونعمائه التى يسبغها فى كل وقت عليهم ، إذاً لضحكوا قليلا ولبكوا كثيراً ، ليت شعرى ماذا يضرنا ، أو ماذا يضيرنا لو عقدنا النية ووطدنا العزم ، وأيقظنا الهمم الناعسة ، وتوجهنا جميعاً إلى الله بقلب خالص طاهر بريء ، وتبنا إلى الله ، ورجعنا إلى الله ، وندمنا على ما فعلنا ، وعاهدنا ربنا أن نسير على صراطه المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين ، إننا إن فعلنا ذلك ، نكون حقا قد قمنا بواجب الشكر لله : وليس عجيباً هناك أن يؤيدنا الله بنصر من عنده ، ويجعل لنا من ضيقنا فرجاً ، ومن عسرنا يسراً ، ويرزقنا من حيث لا نحتسب ، ويكفر عنا سيئاتنا ويعظم لنا أجراً

(وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً)

الحديث

عن أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى أنه قال : « يا عبادي . إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا : يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم : يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم : يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفروني أغفر لكم : يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ياعبادي . لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم ، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ، مازاد ذلك في ملكي شيئاً . ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم ، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ، مانقص ذلك من ملكي شيئاً ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد وسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ، مانقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر . ياعبادي إنما

هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها. فمن وجد خيراً فليحمد الله. ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» وقد روي عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه كان يقول «ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا الحديث»

(٨) الحلم سيد الأخلاق

الحمد لله جعل الحلم سيد الأخلاق. الحمد لله جعل الحليم موضع الرحمة والاشفاق. الحمد لله القائل في كتابه الكريم (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ) أشهد أن لا إله إلا الله الرحمن الرحيم وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ذو الخلق الطيب والقلب الرحيم. فصلوات الله وسلامه وبركاته عليه، وعلى آله وصحبه الذين راضوا أنفسهم على مكارم الأخلاق، وكانوا أشداء على الكفار رحماء بينهم، ففازوا بالهناء المقيم في جنات النعيم، ولمثل هذا فليعمل العاملون، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

أما بعد فياعباد الله: إن على الأخلاق الكريمة يقوم

د الدين. وبصفات الكمال العالية ذاع صيت المسلمين بالمعاملة الحسنة الصادرة من قلوب ملأتها الشفقة والرحمة الايمان الخالص، تغنى الناس بعدلهم فى الخافقين. فحققوا بذلك قول الله فيهم (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ) : دعا ديننا إلى التحلى بكل فضيلة ، والتخلى عن كل رذيلة. ونعى على الذين ساروا على عكس ذلك حالهم ، وحذرهم سوء العاقبة ، وتوعدهم بعظيم غضبه ، وشديد سخطه ، كما حذرهم بأسه وانتقامه : من بين الفضائل التى دعا الدين الاسلامى إلى التخلق بها صفة الحلم ، وسعة الصدر ، وضبط النفس لدى ثورة الغضب : صفة طيبة وخلق كريم ، ذلك الذى دعانا الدين إلى التحلى به . سجية عالية تخلق بها سيدنا ومولانا محمد عليه السلام : جاء يهودي إلى رسول الله ﷺ يتقاضاه دينا ، فجذب السيد الرسول من ثوبه ، وأغلظ فى القول معه حيث قال « يا بني عبد المطلب أنتم قوم مطل » فاغتاظ عمر بن الخطاب

رضى الله عنه من هذا الفعل السيء ، وهمّ بالانتقام من اليهودي ومقابلة الغلظة بالغلظة ، ولكن السيد الرسول عليه السلام لم تثر نفسه ، ولم يهج طائشه ، ولم يُر للغضب أثر في وجهه ، بل كظم غيظه ، وكبح جماح نفسه ، وقال لعمر وهو يبتسم في وداعة الحليم ، وتؤدة الحكيم ، ورزانة العاقل) أنا وهو كنا أحوج منك إلى خير من هذا يا عمر تأمره بحسن التقاضي ، وتأمرني بحسن القضاء) ثم قضى للدائن دينه ، وطيّب خاطره على ما روّعه عمر ، وكان هذا سبباً في إسلام اليهودي

فيا عباد الله — بمثل هذه الأخلاق الفاضلة تسود الأمم : بمثل هذا الحلم الواسع تسير الأمور : بمثل هذه السجايا الطيبة تتآلف القلوب ، وتتصافى النفوس ، ويكون من أفراد الأمة كتلة عظيمة يحار فيها العدو ، وتكون لها الكلمة العالية . فترفع رأس المسلم ، ويعز شأن المسلمين

أيها المسلم — اقرأ معي قول الله عز وجل (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ . ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ . فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)

وقل معى صدق الله العظيم : فان من أصابه أذى من الناس فكظم غيظه ، وقابل السيئة بالحسنة بصدر رحب وأحسن معاملة المؤذي. فان ذلك العدو اللدود، يصبح له صديقا صادقا فى مودته ،فضلا عن كونه يوبخ نفسه، ويؤنب ضميره على مافرط منه ، وهكذا تتصافى القلوب، وتفيض بحب الخير النفوس ، ولا يكون للضغائن والأحقاد أثر ما فى جماعة المسلمين : أما إذا قابل السيئة بمثلها، وكال المسىء بكيله ،فان الخطب يشتد، والأمر يعظم، ويتسع الخرق على الراقع، فتكون المنازعة فالمشاتمة فالمخاصمة، التى نتيجتها وبال وخسران على الطرفين : فضلا عن تولد الضغائن والأحقاد فى النفوس وهناك الهلاك والدمار، والخطر العظيم

ياعباد الله . نعم إن المال قد يكون سببا فى سعادة صاحبه وهنائه ونعيمه ، ولكنه كذلك .ربما كان نقمة ووبالا عليه ، وسببا فى تسوىء سمعته ، واعتلال صحته ، وضعف قوته ، وشقائه فى الدارين : والقوة وإن كانت درعا يتحصن به الانسان فى الشدائد ، ويتذرع بها لزجر الظالمين ، ورد

اعتداء المعتدين ، ولكنها كذلك ربما كانت قوة طائشة لا حكمة عند صاحبها. فيتساوى هو والحيوان المفترس ، ويصبح وحشا لا يرجى خيره ، ولا يؤمن جانبه ، فكان مصيبة على غيره من المخلوقين .

والعلم المجرد عن تهذيب النفس وتربية الخلق ، يجعل صاحبه كالحمار يحمل أسفارا ، وما مثله إلا مثل شخص يحمل لؤلؤة غالية ، ويتحلى بجوهرة نفيسة ، ولكنه ويا للأسف عارى الجسد ، حافى القدمين ، مشوه المنظر ، ممسوخ الصورة ، يمجه كل ذى ذوق سليم : فياعباد الله — صفة الحلم ضرورية لمن ينشد عيشة راضية ، ولازمة لمن يطلب حياة طيبة ، تحفها السعادة ، ويخالطها الهناء ، وتشوبها محبة الخلق ورضاء رب العالمين ، (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى السَّمَاءِ ، تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ، وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)

يا عباد الله ـ المرء بإخوانه، وكل إنسان لا بد له من صاحب يحمل ما أثقله ، والمرء قليل بنفسه كثير باخوانه ، مدنى بطبعه ، يحتاج إلى الناس ، ويحتاج الناس إليه ، فخبرونى بربكم من ذا الذى يخطب وده ، من ذا الذى يطلب صداقته ؟ وهو شاذ الطبع ، جاف الجانب ، قاسى المعاملة ، سىء الأخلاق والله تعالى يقول لرسوله الذى عصمه من الناس (ولَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) خبرونى فى أى مكان يجد هذه الصداقة ؟ ومن الذى يرضى لنفسه أن يكون صديقا لهذا الذى جرد نفسه من مميزات الانسان الوادع ، وكمالات الرجل الفاضل ، وأصبح منشأ الشرور ، ومعدن الآثام ، ومحل الاجرام ، ورجل الايلام ، وعدو المكارم ؟ فاتقوا الله عباد الله وتحلوا بصفة الحلم فانه نعم الخلق العظيم ، وسعوا صدوركم لاخوانكم . خالفوا الشيطان والنفس الأمارة بالسوء . اكظموا غيظكم . قابلوا سيئة الغير بالحسنة . (وسارِعُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ والارْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ

فِي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ ، والكَاظِمِينَ الغَيْظَ والعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، واللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ)

الحديث

عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال « إن من حبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا » رواه الترمذى وقال حديث حسن : وعن أبى ذر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال « يا أبا ذر : لا عقل كالتدبير ، ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق » رواه ابن حبان فى صحيحه وغيره : وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ألا أخبركم بمن يحرم على النار ؟ تحرم على كل قريب هين لين سهل » رواه الترمذى وقال حديث حسن

(٩) الأزمة الأخلاقية

الحمد لله الحاكم الذى لا يقع فى ملكه إلا ما يريد ، القادر الجبار ذى البطش الشديد ، المنعم المتفضل ، الذى ما على نعمائه

من مزيد . سبحانه لا إله إلا الله هو رب العرش العظيم .
نحمده وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تنجى قائلها من عذاب
النار ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله النبي المختار . اللهم
صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الأخيار
ومن سار على الدرب من عباد الله المتقين، وأولياءه الصالحين
عليهم الرحمة والرضوان

أما بعد فيا معشر المسلمين ، تشكو أمتنا وسائر أمم
الأرض ، أزمة مالية اقتصادية، تكاد تقضى على كيان الناس
وتنتهي فى آخر الأمر إلى الافلاس ، وهم يواصلون ليلهم
بنهارهم ، ويعملون بمنتهى جدهم واجتهادهم ، ويقدحون زناد
فكرهم فى تفريجها، والتخفيف من وطأتها وشدتها ، هذا
هو الواقع . فان الأزمة المالية الحالية، فى منتهى الخطورة، لم
يحدثنا التاريخ بمثلها من مئات السنين ، نعم هى أزمة حادة
محفوفة بالمخاطر والشدائد ، إن لم يتداركنا الله بلطفه فيها ،
وإلا كان الخراب والدمار ، والخسارة والبوار، نحن لا ننكر
خطر هذه الأزمة ، وأنها شغل الناس الشاغل فى

مجتمعاتهم، واحاديث الكل فى الشوارع والأندية. الكل يتكلم عن صعوبتها، وما ستتركه فى الناس من أثر سيء وضرر عظيم، ولكن الذى يفحص الحالة بمنظار التأمل والتدبر، وينظر إليها بعين الاعتدال وعدم التعصب، يرى أن هذه الأزمة فى الحقيقة، مسبوقة أو مصحوبة بعدة أزمات أخرى أعظم خطراً، وأشد ضرراً، بل لا أبالغ إذا قلت لكم إن الأزمة المالية بجانب هذه الأزمات الأخرى لا تعد شيئاً مذكوراً، فلئن كنا نذعر ونخاف، ونخشى بأس الأزمة المالية، فواجبنا إن كنا رجالا عقلاء، أن نصعق من هول هذه الأزمات الأخرى

يا عباد الله: إن فى البلد اليوم، أزمة أخلاقية، أزمة دينية أزمة اجتماعية، تهددنا بفواجع فى ديننا وأخلاقنا وعاداتنا لا يرضى بها عزيز، ولا يقيم عليها إلا كل ممقوت مرذول * إن فى البلد اليوم فوضى أخلاقية دينية اجتماعية لا تقف عند حد، إلا إذا أدركها المصلحون، وأوقفوا تيارها الجارف ثم أخذوا يعالجونها بمنتهى الحكمة، وغاية الاخلاص، حتى

يرجعوا بها إلى حدود الدين وبرد اليقين : إن رجالنا ونساءنا إن كبارنا وأحداثنا، إن هؤلاء جميعاً، قد زلت أقدامهم، إلا من عصم ربك، فسقطوا في تيار الحضارة الكاذبة والمدنية الخاسرة ، والتقليد الأعمى للأجانب ، حتى فسدت منا الأخلاق، وضاعت آداب الدين، فأصبحنا ممسوخين مشوهين لا ديناً تمسكنا به ، ولا إسلاماً اعتصمنا بحبله، ولا دنيا حصلنا عليها . فكان مثلنا مثل المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى (مَثَلُ الَّذِينَ خَسِرُوا الدُّنْيَا والآخِرَةَ مَعاً وذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) إن حالتنا الدينية والأخلاقية ، تدعو من غير شك إلى التفكير العميق بعقل سليم لم تتغلب عليه العواطف الآثمة المجرمة ، وقلب خالص لم تتحكم فيه عوامل الشقاء وبد الأهواء ، وإن المفكر المنصف بعد أن يدرس الحالة من جميع وجوهها ، لا يسعه إلا أن يخرج بنتيجة واحدة مؤلمة ، بنتيجة واحدة مخجلة تصفر لها الوجوه وجلا، وترتعد لها الفرائص رعباً ، وتتميز منها القلوب حنقاً وغيظا ،

تلك النتيجة التي يمكن أن يخرج بها المفكر بعد تفكيره ، هي أن سلطان الدين قد ضعف ولم يعد له تأثير على النفوس ، وان خوف الله ورهبته وخشيته كل هذا قد زال تماماً من القلوب ، فأصبحت خربة إلا من التفكير فيما يغضب الله ويرضي الشيطان ، أصبحت خالية إلا من المكر والخداع والتفنن في ضروب المعاصي وصنوف البلايا وأنواع المصائب التي حادت بنا عن الطريق المستقيم : إن تدهور أخلاقنا واضمحلال آدابنا وضعف سلطان الدين على النفوس ، قد جعلنا في أحط منزلة يرثى لها ، فأصبحت ترى الجرائم الأخلاقية ترتكب بكل جراءة تحت ستار الحضارة المشئومة ، أصبحت تنظر الجرائم الدينية تقترف من غير مبالاة باسم المدنية الملعونة ، حتى بلغ الأمر منا مبلغ الاستهتار ، فأصبحنا لا نبالي بأن هذا حلال أو حرام ، لا نكترث بأن هذا إسراف وتبذير ، لا نأبه بأن هذا نافع أو ضار ، لا نهتم بأن هذا عاقبته الخراب ونهايته الافلاس ، كل ذلك أصبح لا نظر إليه البتة ، بل أصبحت كل مخالفة تعد في عرف المجددين

مدنية وحضارة وتقدماً ، حتى لو سارت امرأة الآن عارية
قالوا من المدنية ، ولو لبس رجل النقاب لقالوا من الحضارة ،
ولو تعانق الرجل والمرأة على قارعة الطريق لقالوا تقدماً
ورقيا ، وهكذا دواليك حتى أصبح التوازن مختلا ، والحمل
ماثلا ، وعما قريب يسقط ونحل الكارثة ، فرحماك اللهم
ولطفك بعبادك المساكين المغرورين: خبروني بربكم. أي معنى
لأن يترك الشاب المسلم ابن المسلم صلاة كتبها الله وجعلها
عماد الدين؟ وصياماً فرضه الله وجعله صلة وتراحماً بين المسلمين؟
واستقامة جعلها الله أساساً لنجاح الأعمال ، والوصول إلى
ذروة المجد بين العالمين ؟ خبروني بربكم . لماذا تخرج المرأة
المسلمة بنت الرجل المسلم زوجة الرجل المسلم متهتكة متبرجة
عارية الصدر والذراعين والساقين ، متأنقة في ثياب الزينة
والخلاعة بشكل خليع مزر لا يصح أن تظهر به إلا بين
يدي زوجها وفي حجرة نومها ؟ خبروني . لماذا لا يغار عليها
زوجها ؟ لماذا لا يحافظ على شرفه أبوها ؟ لماذا لا يوقفها
عند حدودها أخوها ؟ لماذا لا يكون لها من نفسها ضمير

يوبخها، أو واعظ يؤنبها، أو وازع يقول لها إن عملك هذا إجرام واستهتار وشيء لا تسيغه النفس الكاملة، ولا يقبله الذوق السليم ؟ لماذا لا تنكر عليها الأمة هذا العمل المستهجن ؟ وتحتقرها وتزدريها وتظهر غضبها واشمئزازها من هذا النقص المعيب، فتعطى أمثال هؤلاء درساً قاسياً، يتعلمن بعده كيف يكون احترام النفس، والوقوف عند حدود الكمال، والمحافظة على حرمة الأخلاق والدين ؟ خبرونى . لماذا أصبح الرجال يتشبهون بالنساء ؟ والنساء يتشبهون بالرجال، ماذا جرى يا خلق الله ! هذا عجيب يا عباد الله ! أصبحنا نرى الشاب المسلم فى زى لا يختلف كثيراً عن زي المرأة فى خدرها، أو السيدة التى تتزين لزوجها، فتراه وقد وضع المساحيق على وجهه، وحلق لحيته وشاربيه، وحمر شفتيه، وزجج حاجبيه، ومشط شعره بشكل يستلفت الأنظار، وسار يترنح فى مشيته، ويتمايل ذات اليمين وذات الشمال، فبالله من أى جهة تجد النخوة إليه سبيلا ؟ ومن أين تدخل الشهامة إلى نفسه ؟ وقد فر

منها خوفاً من مسئولياتها العظيمة . أما المرأة فقد صارت في كثير من الجرأة وعدم المبالاة تقص شعرها ، وتسمح نفسها ويسمح لها زوجها وأهلها أن تجلس على كرسي الحلاق ، يعبث بشعرها بما شاء له الهوى والغرض ، وبما شاء التفرنج لنا من مسخ وتشويه ، وبما شاءت (الموضة الحديثة) . وأما الكرامة وأما العفة وأما الشرف وأما الحياء وأما الفضيلة فأمور قديمة ، وتأخر لا يتفق مع مدنية العصر الحاضر ، وعلى الجميع رحمة الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . ماذا أقول لكم : أقول لكم بصفة إجمالية ، أمراضنا الأخلاقية ، وعللنا الاجتماعية ، شيء كثير يقف دونه الحصر : وهي أشد خطراً ، وأعظم ضرراً من الأزمة المالية ، ولا علاج لذلك عندي وفي نظر العقلاء إلا بالرجوع إلى الله تعالى ، والوقوف عند حدود الدين ، ومراعاة تعاليم الاسلام . فاتقوا الله عباد الله وتمسكوا بدينكم ، فكفاكم مخالفة للدين ، وقفوا عند حدودكم . فكفاكم ما وصل إليه حالكم . وتأدبوا بآداب القرآن فكفاكم تمرداً على ربكم . وتخلقوا بأخلاق

نبيكم الكريم (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) اللهم هون كربنا ، اللهم يسر عسرنا اللهم فرج ضيقنا ، اللهم اهدنا من فضلك صراطا سويا

الحديث

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » رواه مسلم

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال « مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا (١) على سفينة فصار بعضهم اعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا (٢) على أيديهم نجوا ونجوا جميعا » رواه البخاري والترمذي

---

(١) اقترعوا (٢) أي أسلموا إلى ما استحقوه من النكير عليهم وتركوا عليهم ما استحبوه من المعاصي حتى يكفروا منها فيستوجبون العقوبة

(١٠) الكبر

الحمد لله يحب من عباده المتواضعين ، الحمد لله يكره من خلقه المتكبرين . لا إله إلا الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، أحمده وأشهد أن لا إله إلا الله الكبير المتعال ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله مثال التواضع ورب الكمال ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين هداهم الله فكانوا قادة متواضعين ، وأئمة هداة مرشدين

أما بعد فيقول الله تعالى وهو أصدق القائلين (ولا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) ، أيها المسلم — غرتك الحياة الدنيا وغرك بالله الغرور ، وتغلبت عليك نفسك الأمارة بالسوء ، فأوعزت إليك أن تفعل الخنا وترتكب الفجور ، ونفخ الشيطان فى أوداجك وزين لك التَّلَفَ والكبر والاعجاب بالنفس وحب الظهور ، فيالله من ماكر خداع ، ويالك من ضعيف

مغلوب على أمره قليل اليقين ، تختال فى مشيتك. وتُعْجِبُ بنفسك. وتباهى بمكانتك. وتُصَعِّرُ للناس خدَّك. وتمشى مشى الخيلاء. وتسير سير الكبراء والعظماء وتضرب الارض بقدميك ضربا كأنك تريد أن تخرقها خرقا. إنَّكَ لن تَخْرِقَ الأرض ولن تَبْلُغَ الجِبَال طُولا) ، تمشى عابس الوجه ، مقطب الجبين ، تمشى شامخا بأنفك ملتفتا ذات الشمال وذات اليمين ، تمشى رافعا رأسك كأنك تناطح بها السها دون العالمين ، تسير متكبرا كأنك سيد والناس خدم ، أو كأنك مخلوق من جواهر غالية والناس كلهم من طين : مسكين أنت أيها المتكبر : علام هذا التكبر وحتام هذا الغرور؟ وإلى متى التمادى فى الاعجاب بالنفس وحب الظهور ؟ ألم تعرف أصلك الذى خلقت منه وإليه تنسب ؟ خلقت من ماء مهين : خلقت من نطفة أمشاج وأخلاط تأنف عينك أن تنظر إليها ، وتتقزز نفسك إذا ألقيت نظرة عليها (فلينظُر الانسان مِمَّ خلق؟ خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب) (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار

مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين »

عجبا لمن يطلب الكبر وحب الظهور ولكن الموت يطلبه ، عجبا لمن يتكبر فى هذه الحياة الفانية ، ولكن القبر المظلم ينتظره ليضمه ضمة تتكسر منها الاضلاع ، وتتفكك فيها الاوصال ، وتتقصف من شدتها العظام ، ثم يبقى فيه فريدا وحيدا لا أنيس له ولا رفيق ، ولا صاحب ولا شفيق ، عجبا لمن يتبختر اليوم فى أعطافه ويخطر فى ثياب العظمة والرفاهية وهو فى الغد دفين التراب ، داخل قبر مقفر موحش ، ثم يكون غذاء للدود والهوام وطعاما للحشرات : عجبا لك أيها المتكبر : ألم يبلغك ما قاله الامام على كرم الله وجهه فى حق المتكبر : يقول الامام عجبت لمن يتكبر وأوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة ، وهو فيما بين هذا وذاك يحمل العذرة : ألم يبلغك ما قاله بعض الحكماء

يا مظهر الكبر إعجاباً بصورته
انظر خلالكَ فان النتن تثريب
هل فى ابن آدم مثل الرأس مكرمة
لكن بخمس من الأقذار مضروب
أنف يسيل وأذن ريحها صَهِقٌ
والعين مرفضة والثغر ملعوب
يابن التراب ومأكول التراب غداً
أقْصِرْ فانك مأكول ومشروب

أيها المتكبر: تبذل قصارى جهدك فى تنميق ثيابك، وتحسين هندامك، وتجميل ظاهرك؛ حتى خرجت عن حد المألوف المعروف. فالثياب من حرير وديباج، والساعة من ذهب وهاج، والعصا من فضة وعاج. أما من جهة الأعمال الصالحات، فلا اعتناء بها ولا التفات، كأنك ظننت أن المرء بثيابه وملابسه ومقتنياته وطنافسه، ولكنك يا هذا واهم كل الوهم فيما ظننت، ومخطىء كل الخطأ فيما زعمت، فبالله ماذا يجدي عمار الظاهر منك والباطن خراب؟ بالله

ماذا ينفع بياض الثياب والقلب أسود بلون الغراب ؟ بالله ماذا يفيدك حسن الملابس إذا كنت سائراً فى غير طريق الصواب ؟ ضللت الهدى والرشاد ، وحدت عن الطريق المستقيم . إنك يا هذا لم تصب الحقيقة فيما تدعى ، فان المرء بفضائله وأعماله ، لا بثيابه وأمواله ، إن أكرم الناس على الله أخوفهم من الله . إن أحب الناس إلى المولى عز وجل أبرهم وأتقاهم ، لا أرفعهم نسباً ، ولا أكرمهم حسباً ، ولا أغناهم مالا ، ولا أكثرهم جمالا . اسمع إن شئت قول أبي العلاء

صاح هذه قبورنا تملأ الرحـ ... ـب فأين القبور من عهد عاد
خفف الوطء ما أظن أديم الـ ... ـأرض إلا من هذه الأجساد
وقبيح بنا وإن قدم العهـ ... ـد هوان الآباء والأجداد
سر إن استطعت فى الهواء رويداً
لا اختيالا على رفات العباد

فليس ثمت غير التقوى تميز الرجال ، وليس هناك غير العمل الصالح وحسن الخلق والتواضع والكمال . ليس هناك

غير معالى الأمور ، وصنائع المعروف ، والبعد عن صغائر الأمور . قال تعالى (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ) (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) رحم الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقد ضرب لنا المثل الأعلى فى تواضعه حدثنا التاريخ أن عمر خرج يستخبر عن أهل القادسية ، فلما لقيه البشير سار عمر على قدمه والبشير راكب على جمله ، فما زال يسأله والبشير يخبره ، ولا يعرفه حتى دخل المدينة ، فاذا الناس يسلمون عليه يا أمير المؤمنين ، فقال الرجل هلا أخبرتنى يرحمك الله أنك أمير المؤمنين ؟ وجعل عمر يقول لا عليك يا أخي وهذا ليس بكثير على عمر ، فلقد كان له فى رسول الله أسوة حسنة

روى انه عليه الصلاة والسلام كان فى سفر وامر أصحابه باصلاح شاة ، فقال رجل يارسول الله . علىَّ ذبحها ، وقال آخر علىَّ سلخها ، وقال آخر علىَّ طبخها ، فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم (وعلىّ جمع الحطب) فقالوا يارسول الله نكفيك العمل فقال (علمت أنكم تكفونني ولكن أكره أن أتميز عليكم وإن الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه) فهذا مثال من تواضعه ﷺ: وكان يلبس البرد الغليظة، ويقسم حلل الديباج على أصحابه مأكله طفيف وفراشه حشوه ليف، وكان قادرا على أن يلبس الحرير، ويستعمل الذهب والفضة، ويعيش عيشة الرفاهية والترف، نعم كان قادرا على ذلك كله، ولكنه فضل هذه العيشة انصرافا عن الدنيا وزخرفها، وانتظارا للآخرة التى هى خير وأبقى

فاتقوا الله عباد الله، وابتعدوا عن الكبر فانه ليس من صفاتكم وأنتم العبيد الضعفاء، لاحول لكم ولا قوة، بل هو من صفات الله القادر العظيم صاحب الحول والطول، خالق السموات والأرض، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين: اتقوا الله وتجملوا بحلل التواضع فانه نعم الخلق العظيم، وهذبوا

أخلاقكم ، ونظفوا قلوبكم ، وحسنوا أعمالكم فانكم ستندمون يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

الحديث

قال رسول الله ﷺ (ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضاعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر) رواه الشيخان

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر » فقال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا وفعله حسنا قال « إن الله جميل يحب الجمال . الكبر بطر الحق (١) وغمط الناس » رواه مسلم والترمذى

وعن عياض بن حمار رضى الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ « إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لايفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد » رواه مسلم وأبو داود

---

(١) بطر الحق دفعه وغمط الناس احتقارهم

(١١) اليتيم

(١) الحمد الله الحنان المنان . الحمد لله الرحيم الرحمن. لا إله إلا الله ربنا وإلهنا ، وملجأنا وملاذنا ، وهو فى كل الاحوال حسبنا ونعم الوكيل ، أحمده وأشهد أن لا إله إلا الله فى كل وقت وزمان ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله سيد ولد عدنان . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه الذين ملأ الله قلوبهم شفقة وحناناً . وعطفا ورأفة وإحسانا . أولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون .

أما بعد فيقول الله تعالى فى الكتاب الكريم . ﴿فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث) ، ياعباد الله اليتيم هو الطفل الذى مات أبوه، وتركه لا معين له إلا الله ، والشفقة الانسانية من ذوى المروءة

---

(١) فى هذه الخطبة وبعض خطب أخرى اقتباس بسيط من كلام بعض الفضلاء

والاحسان . اليتيم هو الصغير الذى انتقل والده إلى جوار ربه فى الدار الآخرة ، واستودعه أمانه لدى جماعة المسلمين، يحافظون عليه ، ويمدون يد العناية والاصلاح إليه ، فينشأ نشأة صالحة ، وينبت نباتا حسنا ، وتتغرس الفضيلة فى نفسه من الصغر ، يتدرج على مكارم الاخلاق ، ولا يلبث أن يصير عضوا عاملا فى أمته، وجنديا مخلصا لبلاده ، يحمى حماها ويرعي ذمارها ، ويذود عن حياضها ، ورجلا نافعا فى معترك الحياة ، فيفيد نفسه ويفيد الناس معه ويغنيها ويغنى أمته ، وهذا كل ماتتطلبه الحياة ،وغاية ماترمي إليه التربية الصالحة فى النشء الصغير .اليتيم هو البائس المسكين الذى أصبح يردد هذه العبارة . أين عيناك يا أبتى؟ يتنهد تنهدات حارة ، يظن الرائى أن ضلوعه تتقصف منها ، ويتنفس تنفسا يضرم الماء ويلهب الهواء . اليتيم هو الطفل الذي تناوبته الهموم ، وجاشت فى صدره غصصها ، فيبيت طول ليله طاوى الاحشاء يفترش الارض ويلتحف السماء . وقد استسلم للوجد واستكان للعبرات ، وأخلد الى الشجون . اليتيم هو ذلك الذى يناجي

نفسه فى ظلام الليل ، يا أبتى : هوت عليك المنية فأتت عليك ولم أعرف عنك بعدها خبرا ، يا أبتى : لقد دقت الايام عظمى وأكلت بعدك الهموم دمى ولحمى : عرفتنى بعدك البؤسى وعرفتها ، وألفتنى وألفتها ، وباتت أمى وأنا ابنها ، يا أبتى أنا اليتيم الذى لذع الموت شغاف قلبه ، وجنى عليه فى أعز عزيز لديه ، وقضى على محط آماله ، ومهبط رجائه ، وغاية أمانيه ، أين عينك يا أبتى فتبصرنى وقد شحب لونى ، وغارت عينى وهزل جسمى ، وانهد كيانى وضعف جنانى ، وكثرت أشجانى ، وأصبحت لا أنا حي فأرجى ، ولا أنا ميت فأنعى كأنى المقصود بالبؤس فى قول القائل

ليس من مات فاستراح بميْتٍ
إنما الميْتُ ميِّتُ الأحيـاء
إنما الميت من يعيش كئيباً
كاسفـاً باله قليل الرجاء

أين عينك يا أبتى فترى ذلى وهوانى ، بعد أن كنت فى

مراتع العز أرتع ؟ أين عينك يا أبتي فترى ثيابي البالية ، وأطماري القذرة ؟ قم يا أبي من قبرك . وانظرني وقد انكفأت على وجهي في الطريق جائعاً عطشان ، ذليلا مهاناً ، قضيت ليلي ولم أتمتع بالنوم ، فهو حرام عليّ حلال لغيري من الناعمين . قم يا أبي فانظرني والهموم تتلجلج في صدري. ركنت إلى الأقرباء فخانوني ولم يعطوني . ذهبت إلى أصدقائك فأنكروني وطردوني . توسلت إلى من أتوسم فيهم الخير من معارفك فشتموني وضربوني . فرحماك اللهم نباعي أقربائي . وطرحني أصدقائي . وعافني معارف آبائي . وفي الجميع خاب ظني وانقطع رجائي . فكأن اليتم في عرف الحياة أو الأحياء . معنى من معاني الشقاء . أو عارضة من عوارض البلاء . أو صاعقة من صواعق السماء ، أو ظاهرة من ظواهر الوباء . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

أيها المسلم — إذا كان هذا هو حال اليتيم المسكين . فالواجب عليك نحوه أن تتعهده بالعناية والتربية وإسداء المعروف والمال إليه . الواجب عليك أن تتودد إليه وتعطف

عليه . الواجب عليك أن تواسيه وتجتهد فى إدخال الفرح والسرور إلى قلبه الحزين . وتجبر خاطره الكسير المسكين. فانك لا تدرى أتعيش فتربى أولادك أم يقضى عليك الموت، كما قضى على أبيه من قبل فتصبح أولادك أيتاماً محزونين ؟ ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً)

أيها المسلم — بالأسف جعلت مالك وسيلة للهوك أو سبيلا للهلاك . بالأسف بددت أموالك فيما لا ينفعك ولا يفيد أمتك . ونسيت أن عليك واجباً أنت مسئول عنه أمام أحكم الحاكمين ، يوم لا ينفع مال ولا بنون . نسيت أن أمامك يتامى هم أحق ببعض هذه الأموال ، وأولى بما تبذره فى طريق الهوى وسبيل الضلال . حرام عليك والله حرام . حرام أن ترمى بأموالك فى مواضع الخنا والفجور ، وأماكن اللهو والخمور . وأمام عينك المئات من اليتامى يتضورون جوعاً فى الشوارع والطرقات ، حفاة عراة

لا يجدون لقمة يتبلغون بها ، ولا ثوباً يسترون به عوراتهم فما أقسى قلبك ، وما أضعف إيمانك ، وما أبعدك عن الخير والرحمة بالمساكين . ألا تعلم يا هذا أن هؤلاء وأمثالهم ، سيتعلقون بعنقك يوم الزحام ، ويطالبونك بحقوق لهم فى ذمتك من الأموال التى ترسلها أنت مع الرياح ، وتنفقها فى غير الهدى والفلاح . فبالله ماذا يكون جوابك إذا قال لك اليتيم ، توسلت إليك أن تعطينى ما أدفع به عادى الجوع فنأيت عنى بجانبك ، فأعدت عليك السؤال فشتمتنى ، ونهرتنى ولكزتنى وطردتنى ؟ لا شك أن حجته عليك قائمة . وسوف ينهزم باطلك أمام حقه الصراح ، فعند ذلك تلاقى من العقاب الأليم الشىء الكثير .

يأيها المسلم الواجب يناديك بأعلى صوته أن تمد إلى هؤلاء اليتامى يد المعونه والمساعدة ، وأن تتعاون مع إخوانك المسلمين على أن تفتحوا لهم الملاجىء لتأويهم ، وتنشئوا لهم المدارس تعلمهم وتربيهم ، وتوجدوا لهم من الصناعات مايكفل لهم الحياة الطيبة ، ويضمن لهم العيش الرغيد ، (إِنَّ الَّذِينَ

يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ
فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ
فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا
كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ)

(أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ؟ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ
لَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ)

أيها المسلم : الأولى بك أن تتخذ بأموالك عند الله سبيلا : وها هو طريق الاحسان مفتوح أمامك . هاهم الأذكياء من الأيتام كثير . ها هي الحسنة بعشر أمثالها فأنت أيها اليتيم — لأن أعرض عنك أهلوك . ومكر بك صحبك وعارفوك . ونأى عنك الأغنياء بجنوبهم . ومال عنك المصلحون بقلوبهم ، فاصبر وما صبرك إلا بالله ، ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون . إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

الحديث

عن سهل بن سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا » وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما

وعن مصعب بن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما قال : رأى سعد أن له فضلا على من دونه ، فقال النبي ﷺ « هل تُنْصَرُون وتُرْزَقُون إلا بضعفائكم » رواه البخارى

(١٢) الاستقامة

الحمد لله جعل الاستقامة سر كل نجاح . الحمد لله جعل اتباع الشرع أساس كل فلاح . لا إله إلا الله من يرض عنه يرزقه الاستقامة ، ويهده إلى سواء السبيل . أحمده وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار . وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله النبى المختار . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه السادة الأخيار ، القادة الأطهار .

الذين كانوا على ضوء الاستقامة سائرين ، وسبيل الرشاد سالكين . فعاشوا حياتهم آمنين مطمئنين ، فرحين مستبشرين ، لاخوف عليهم ولاهم يحزنون . أما بعد فيقول الله تعالى فى الكتاب الكريم (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ)

يا عباد الله — وعد الله المستقيمين بحياة هادئة هانئة ، وعيشة صافية راضية ، ودرجات كبيرة عالية ، وسعادة من شوائب المكدرات خالية . ولعمرك هذا غاية مايصبو إليه الانسان ، ونهاية ما تطمح إليه النفس المطمئنة ، وينشده العقل الراجح والطبع السليم : وعد الله المستقيمين بهدوء البال ، واطمئنان النفس ، وارتياح الخاطر ، فلا خوف ولا

حزن ، ولا اضطراب ولا وهن ، ولا ضيق ولا شجن ، ولا قلق ولا ضجر ، ولا هم ولا غم . وأيم الحق هذه سعادة لا تدانيها سعادة فى العالمين . تعهد الله للمستقيمين بأن يكون وليهم فى الدنيا والآخرة ، يرعى شؤونهم ، ويتعهد مصالحهم ويقضى حوائجهم ، ويسهل مقاصدهم ، ويحقق ما رجوه : يكون أعينهم التى يبصرون بها ، وآذانهم التى يسمعون بها ، وأيديهم التى يبطشون بها ، وأرجلهم التى يمشون بها ، وعقولهم التى يفكرون بها ، ويكون لهم سبحانه نعم المولى ونعم النصير : فوق هذا وذاك ، قد بشر الله المستقيمين بالجنة لهم فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، لهم فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون : لهم فيها ما يدّعون وما يشتهون نزلا ورزقا مهيأ من غفور رحيم : يلبسون فيها الحرير والديباج . ويحلّون فيها من أساور من ذهب وهاج : ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق ، متكئين فيها على الأرائك ، نعم الثواب وحسنت مرتفقا : فيا عباد الله . خبرونى من هو أحسن

حالا من المستقيم ؟ وهو موعود بسعادة العاجل والآجل
حدثوني من هو أسعد حياة من المستقيم ؟ وهو موعود
بالنصر المبين من لدن العزيز الحكيم . نبئوني من هو آمن
مآلا من المستقيم ؟ وهو موعود بالهناء المقيم في جنات
النعيم : فهنيئاً لك أيها المستقيم بالاستقامة : بشرى لك يا أخي
بالجنة دار خلود وإقامة : مبارك عليك يا مستقيم جنة
الفردوس دار نجاة وسلامة : هنيئاً لك ثم هنيئاً دار الأنس
والكرامة ، وأمان لك من عند الملك الديان ، ولا خوف
عليك من عوادي الأيام ، فربك خصك بالرعاية ، وحباك
بالولاية ، وشملك بعنايته ، ووعدك بكرامته . ويا سعادة من
فاز بولاية أحكم الحاكمين ، ونال نصر الله المبين ، ورضى عنه
رب العالمين ، وخالق الخلق أجمعين : فيا معشر المسلمين .
إذا كان هذا حال المستقيم . فما بالنا تركنا الاستقامة ،
وتركنا إلى الاعوجاج والهذيان ؟ ما بالنا أعرضنا عن طاعة
الرحمن وأقبلنا على وساوس الشيطان ما بالنا حاربنا الملك
الديان ، بارتكاب الفجور والفسوق والعصيان ؟ ما بالنا هجرنا

الشرع الشريف وجرينا وراء الهوى وما تسوله النفس الأمارة بالسوء ، فوقعنا في الخزي والخذلان ، وسقطنا في الذل والهوان ، ورجعنا بالضياع والحرمان ، وبعدنا عن رحمة الرحيم الرحمن ، وما اكتسبنا إلا غضب الجبار ، وغضبة تشيب من هوله الولدان : وظلمنا أنفسنا أيها الاخوان ، وجهلنا مصيرنا وعاقبة المخالفة والعصيان ؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ما بالنا أعرضنا عن الله فأعرض الله عنا ؟ ما بالنا ارتكبنا المحرمات ، وانتهكنا الحرمات ، فغضب الله علينا ؟ ما بالنا انصرفنا عن الدين ، حتى أصبح الدين يسام العذاب على مرأى ومسمع منا ؟ فأمرنا لله وإنا لله وإنا إليه راجعون . فاتقوا الله عباد الله وارجعوا إلى الله ، فلعله يجعل لكم من ضيقكم فرجاً ، ومن عسركم يسراً ، ويهيئ لكم من أمركم رشداً . اتقوا الله وأنيبوا إلى الله ، فان حالنا لا ترضى . وإن ما نحن عليه الآن لا يعيد ولا يبدى . وإن حاضرنا الآن مما يسيء ويخزى ، ويبعث في النفس الأسى والأسف ، ويقطع نياط القلوب : اتقوا الله والزموا

الاستقامة فان فيها نجاحكم ، وبها تقدمكم وفلاحكم ، وفيها عزكم وهناؤكم ، وبها سلامتكم ونجاتكم ، وفيها علاجكم ودواؤكم فهى دواء شاف ، وعلاج ناجع لحالتنا السيئة ، التى تشمت العدو وتسىء الحبيب . والتى من أجلها أصبح العالم الاسلامى إلى الوراء . بعد أن كانوا غرة فى جبين الزمان وسادة العالم فى كل مكان — (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)

الحديث

عن أبى عمرو سفيان بن عبد الله رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله قل لى فى الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك قال : « قل آمَنْتُ بالله ثم استَقِمْ » رواه الامام مسلم

روى ابن ماجه والحاكم عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من فارق الدنيا على الاخلاص

لله وحده لا شريك له . وأقام الصلام وآتى الزكاة فارقها والله عنه راض »

(١٣) المال والبنون

زينة الحياة ولكنهما فتنتها

الحمد لله الذى وسع كل شىء رحمة وعلماً . الحمد لله الذى أودع مخلوقاته أسراراً وحكما . لا إله إلا الله القادر المريد . أحمده وأشهد أن لا إله إلا الله الخالق الموجود . وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله الصادق الموعود . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين ما شغلتهم الدنيا عن ذكر الله طرفة عين ، ولا ألهاهم شأنهم عن شأن ربهم لمحة بصر ولا أقل من ذلك . فرضى الله عنهم ورضوا عنه ، وذلك هو الفوز العظيم . أما بعد فيقول الله تعالى وهو أصدق القائلين (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ

وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)

يا عباد الله : توعد الله بالخسران من ألهته أمواله وأولاده عن ذكر الله توعد الله بالخسران من شغلته الدنيا عن أسباب النعيم ، وقعدت به الشهوات عن وسائل الهناء المقيم فى جنات النعيم ، وكيف لا يتوعده بالخسران ، وقد آثر الاشتغال بالحطام الفانى على النعيم الدائم . كيف لا يتوعده بالخسران ، وقد فضل الاشتغال بالمتاع الزائل على الهناء الباقى . كيف لا يُتَوَعَّد بالخسران ، من باع آخرته بدنياه ، وقرت عينه بشهواته من الأموال والأولاد ، ولم يمض فى خدمة مولاه ، وغرته الحياة الدنيا ، وغره بالله الغرور . كيف لا يُتَوَعَّده بالخسران عبد رضى بدنيا مآلها للفناء . فهجر الطاعة ولزم العصيان ، وفرح اليوم بلذاته ، ولم يخش سطوة الملك الديان ، وأقبل على أوهام وخيالات ، وأعرض عن ذكر الله الذى يقول: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي

فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى .
قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ؟ قَالَ
كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى .
وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ،
وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى)

عجباً لك يا من تعتقد أن الحياة أموال وأولاد . عجباً لك يا من تتوهم أن الحياة ملاذ وتمتع وشهوات . عجباً لك يا هذا وأى عجب . فانك فى نظريتك واهم مخطىء ، تقيس الأشياء بغير مقاييسها ، وتنظر إليها بغير العين التى يصح أن ينظر بها . فليت شعرى ، ماذا تغنى عنك الأموال والأولاد فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم ؟ ليت شعرى ، ماذا يفيدك الجاه والحسب ، إذا كنت من الخاسرين ؟ ليت شعري هل فى يوم الجزاء ينفع غير العمل الطيب الذى يشرف صاحبه ، ويبيض وجهه . (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ) (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ

المرء إلا ما قدمت يداه. يوم لا يجزي والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً) (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) (يوم لا يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به)

تعست والله حياة تشغل الانسان عن واجب مولاه . تعست والله أموال تقعد بالمسلم عما يجب عليه لله . لا كانت الاولاد التي تلهي المرء عن فرضه فيخسر آخرته ودنياه . وذلك وأيم الحق هو الخسران المبين . يامسلم ، نحن لا نقول لك اترك أموالك ، ولا ارم أولادك ، ولا انس نصيبك من الدنيا (ولا تنس نصيبك من الدنيا) (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) بل إننا بالعكس نقول لك راع أموالك ورب أولادك وقر عينا بما ملكت يداك : ولكننا في الوقت نفسه ننصحك بأن تبتغي فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ننصحك

بأن تتخذ بأموالك عند الله سبيلا ، وتجعل من أولادك من يعمل عملا جليلا يعطيك ربك عليه ثوابا جزيلا وأجرا كبيرا . ننصحك بألا تنهمك فى تنمية هذه الأموال ويذهب بك الغرور كل مذهب ، وتأخذك العزة بالاثم من أجل هذه الاولاد ، فتغفل عن ذكر الله ، ومن يغفل عن ذكر الله فأولئك هم الخاسرون . ننصحك بأن تجعل من أموالك وأولادك ذكرا حسنا وسيرة صالحة ، يذكرها لك الناس من بعدك بالشكر والاعجاب ، ويثنون عليك الثناء المستطاب ويقولون رحم الله فلانا فلقد كان خير متصرف فى أمواله وأحسن مرب لأولاده ، وجد مخلص لربه فى العبادة والقيام بما يتطلبه منه الشرع الشريف

يا مسلم — أعطاك الله هذه الأموال والأولاد لا لتغتر بها وتغفل عن ذكر الله ، لا لتطغى وتتجبر وتتكبر فيميل بك الهوى عن الصراط المستقيم ، ولكنه أعطاكها لتتصرف فيها تصرفا حسنا معقولا ، يكون مثالا حسنا يحتذى به ، وسنة مرضية يقتدى بها ، ومنوالا صالحا ينسج عليه العاملون ،

أعطاك الأموال لتنفقها فى السبل التى ترضى الله ، فمن إعانة الضعيف ، إلى مساعدة الفقير ، إلى مواساة البائس المسكين إلى مد يد المعونة إلى عائلات أخنى عليها الدهر ، إلى عمل المشروعات التى تعود على أمتك وبلادك بالخير الكثير والرزق الوفير والسعادة والرفاهية فى العاجل والآجل . رزقك ربك الأولاد لتربيهم تربية صالحة دينية إسلامية ، وتغرسهم غرسا طيبا حسنا ، فيفيدون أنفسهم ويفيدون الناس معهم ، ويكونون رجالا صالحين وأعضاء فى أمتهم عاملين ، يسعون لإسعادها ورقيها ، ويبنون صرح مجدها وعزها . وحراسا أمناء يسهرون على مصالحها ، وقلوبا طاهرة نقية صافية بيضاء من الغش والإلحاد خلية تخفق بحب هذا الدين الإسلامى المجيد

بهذا ياعباد الله تكونون قد أديتم الأمانة التى ائتمنكم المولى عليها : بهذا تكونون حافظتم على الوديعة التى أقامكم الله حراسا عليها : بهذا تكونون قد حلصتم أنفسكم من

مسئولية خطيرة أنتم مسئولون عنها أمام أحكم الحاكمين :
فاتقوا الله عباد الله واعملوا لدنياكم بما لا يتنافى مع العمل
لأخراكم ، ولا تغفلوا عن ذكر الله ، ولا تشاغلوا عن
الطاعات بالشهوات المهلكات والملذات الفانيات « واتقوا
يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم
لا يظلمون »

الحديث

عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم « لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن
يتصدق بصاع » رواه الترمذى

وعن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ
قال « ما نحل والد ولداً من نحل أفضل من أدب
حسن » رواه الترمذى: نحل = أعطى

وعن أبى كبشة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ
يقول « إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله مالا وعلما فهو
يتقى فيه ربه ، ويصل فيه رحمه ، ويعلم لله فيه حقا فهذا

بأفضل المنازل : وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول، لو أن لى مالا لعملت بعمل فلان ،فهو بنيته ، فأجرهما سواء : وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما ، يخبط فى ماله بغير علم ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقا فهذا بأخبث المنازل : وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علماً فهو يقول ، لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء » رواه أحمد والترمذى

(١٤) اكرام الجار

الحمد لله لا تراه العيون . الحمد لله وحده ونحن له عابدون . سبحانه تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفوراً . وأشهد أن لا إله إلا الله أمرنا أن نحسن إلى الجار ، وحثنا على إكرامه مهما جنى أو جار ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أحسن الجوار ، وبكل كمال أشار ، وكان ﷺ بالناس أحسن ، فجمله الله بثياب

الهيبة والوقار ، وجعل فى طاعته المهاجرين والأنصار ، فصلوات الله وسلامه وبركاته عليه وعلى آله وصحبه ، أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ، أما بعد فيقول الله تعالى فى الكتاب الكريم

(واعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وبِذِى الْقُرْبَى والْيَتَامَى والْمَسَاكِينِ ، والْجَارِ ذِى الْقُرْبَى والْجَارِ الْجُنُبِ ، والصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ) الآية

يا معشر المسلمين — إن الدين الاسلامى الذي جمعنا الله عليه ، وشرفنا بالهداية إليه ، وأخرجنا به من الظلمات إلى النور . إن هذا الدين الحنيف لجدير به أن يسمى دين الهداية ، وعلم العدالة ورسول السلام ، وجماع كل خير وكمال وكيف لا يسمى كذلك ، وما عرف خيراً إلا وكان سباقاً إليه ، ولا معروفاً إلا وكان آمراً به وحاثا عليه ، ولا إحساناً إلا ورغب فيه وحبب إليه ، فهو دين الفضيلة ، دين الانسانية ، دين الكمال ، دين الشفقة والرحمة ، دين المروءة والهمة ، دين

المؤمنين هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون فى اذانهم وقر وهو عليهم عمى . أولئك ينادون من مكان بعيد : من الخيرات التى حثنا الدين الاسلامى عليها ، ورغب فيها وحبب إليها ، الاحسان إلى الجار ، وأخذه بالرفق والرحمة ، ومعاملته باللين والحسنى كلما استطاع الانسان إلى ذلك سبيلا : جارك يا عبد الله قطعة منك ، وهو أول شخص يجيرك إذا استجرت ، ويغيثك إذا استغثت ، ويعاونك إذا استعنت ، ويلبى نداءك فى الشدة إذا ناديت ، ويجيبك فى ظلام الليل إذا اشتكيت ، فهو يمينك يا عبد الله فى النوازل ، وأخوك الذى يشد عضدك فى الكوارث ، وصديقك فى الحضرة ، وحافظ حمى بيتك فى الغيبة ، والرجل الذى يهمه أمرك ، ويشغله شغلك ، ويفرحه فرحك ، ويحزنه حزنك

فهو الصديق وإن نبا بك منزل

وأخوك إن ضاقت بك الأرجاء

يرعى الجميل ولا يضن لحادث

عند الشدائد والرخاء سواء

فالجار هو الأخ لمن لا أخ له ، وهو الصديق لمن لا صديق له ، وهو المعين لمن لا معين له ، وهو النصير لمن لا نصير له ، فهو من نعم الله عليك ، ومن آلائه التي ساقها إليك . (وإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) : فشكر هذه النعمة أيها المسلم يكون بالاحسان إلى هذا الجار ، والعطف عليه ، ومد يد المعونة والمساعدة إليه ، ومشاركته في سرائك كما يشاركك في ضرائك ، وأن تفرح لفرحه ، وتحزن لحزنه وتغتم لشكايته ، ولا تدخر وسعاً إذا اقتضت الحال لنصرته ، وتفيض عليه مما أنعم الله به عليك ، إن كنت أسعد حالا من حالته ، وأن تسأل عنه وتزوره في حضرته ، وتكون الحارس الأمين على بيته في غيبته ، وأن تحافظ ما استطعت على كرامته ، وأن تجتنب كل ما يؤدي إلى إنتهاك حرمته ، وأن تطمئن داعماً على صحته ، وتبادر في حالة المرض إلى عيادته ، وأن تسعى ما استطعت إلى سعادته ، وتعمل جهد الطاقة على

تحسين حالته وأن تجتهد في استبقاء مودته ، وتعيش معه عيشة صافية راضية يذكرها لك في حياتك بالشكر والاعجاب وبعد مماتك بالثناء المستطاب ، واستنزال الرحمات ، وطلب تكفير السيئات ، ويكون لأولادك من بعدك صدراً حنوناً ، وبهم شفيقاً رحيماً ، ولهم مساعداً ومعيناً

إزرَعْ جَمِيلاً ولو في غير مَوْضِعِهِ
فلا يضيعُ جميلٌ أينما وُضِعَا
إنَّ الجميلَ وإن طال الزمانُ به
فليس يَحْصُدُه إلا الذي زرَعَا

ياعباد الله : يدعونا الاسلام إلى التآلف والتوادد والتحابب ، حتى نكون صفاً واحداً ، ورأياً واحداً ، ورجلاً واحداً ، وكلمة واحدة ، وأمة متحدة واحدة ، ومن ثم دعانا إلى أن نتعامل مع سائر الناس بالحسنى والاحترام ونهانا عن السخرية من أحد ، أو الاستهزاء بأحد ، أو التجسس على أحد ، أو النيل من كرامة أحد ، ثم أمرنا أخيراً بأن نحسن إلى جيراننا ، ونُحَسِّنَ معهم معاملاتنا ، حتى يتم اتحادنا

ويزداد صفاؤنا ، ويجتمع رأينا ، ويعم التعارف والتواد والتحاب . فنصبح جميعا بنعمة الله إخوانا : إنكم لو تحتم قليلا لوجدتم أن سلفنا الصالح كانوا مع جيرانهم على أحسن وفاق وأتم وئام : يتسامحون معهم ، ويعطفون عليهم ، ويحسنون إليهم ، ويرأفون بهم ، ويغفرون زلاتهم ويتغاضون عن هفواتهم ، ويقابلون بالحسنات سيئاتهم ، وبهذا كانوا معهم على غاية مايرام ، وعلى أتم صفاء وسلام ، فقضوا حياتهم سعيدة هانئة ، كأنهم أفراد أسرة واحدة ، أو أولاد رجل واحد ، ثم تعاونوا وعملوا يداً واحدة ، وقلباً واحداً بهمة واحدة لاتنى ولا تهن ، حتى رفعوا منار الاسلام عالياً ، وفتحوا الفتوحات ، ومصروا الأمصار ، ومدوا ظلال العمران ، وأحسنوا إلى تاريخ الأمة الاسلامية أيما إحسان : فرحمتك اللهم أنزلها عليهم ، وشآبيب رضوانك أمطر جدثهم ، وفسيح جناتك أسكنهم ، لأنك قلت وقولك الحق ـ (وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان)

هذا ياعباد الله ـ هو حال السلف الصالح فالواجب

أن يكون لنا فيهم أسوة حسنة لمن يرجو الله واليوم الآخر
وإن التاريخ ليخبرنا عن حادثة تبدو صغيرة ، ولكن مغزاها
عظيم ، ينم على قلوب طاهرة بريئة ، فاضت بحب الخير
وسكنت إلى المعروف ، واطمأنت إلى أعمال البر والاحسان
وإنه لتأخذنا الدهشة حين نسمع أن هذا المعروف ما كان
قاصراً على بنى الانسان ، بل كان كثيراً ما يتعداه إلى الحيوان
الأعجم : فلقد باضت حمامة فى فسطاط عمرو بن العاص
رضى الله عنه . وكلنا يعلم من هو عمرو بن العاص الصحابى
الجليل ، وفاتح مصر ، وخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه
فى أرض الكنانة . فلما عزم عمرو على الرحيل وأمر عماله
أن يحملوا الفسطاط ، لفت أنظارهم عش الحمامة وبيضها وهى
لم تفرخ بعد ، فلم يقدموا على إزعاجها وانتهاك حرمة
الجوار . بل أوقفوا العمل وذهبوا إلى عمرو كبيرهم ،
يعرضون عليه المسألة ويأخذون رأيه فيها ، أفتدرون أيها
المسلمون — بماذا أجابهم عمرو بن العاص ؟ أجابهم بقوله
لا تزعجوا طائراً نزل فى جوارنا ، وحل آمناً فى رحابنا ،

وأجلوا العمل حتى تفرخ الحامة : ولعلنا ندهش ونعجب كيف أن العمال توقفوا حتى يأخذوا الرأي في أمر كهذا ربما حسبناه بسيطا وهينا ، وهو عند الله عظيم : ولكن لا عجب ولا دهشة ، فالقوم قد تشبعوا بروح الاسلام وأشربوا مبادئه السمحة ، وكانت لهم قلوب تحس وتتأثر

فمن لنا الآن بهذه النفوس الطيبة لتكون لنا أمثلة حسنة نقتدي بها ؟ من لنا بهذه المبادىء السامية يهتدي القوم بهديها ؟ من لنا بهؤلاء الطيبين الطاهرين ؟ من لنا بهؤلاء المسلمين المخلصين ؟ من لنا بهؤلاء البررة الأتقياء الصالحين

يا سلفنا الصالح — ألا تنظرون من خلال قبوركم إلى ما أتاه خلفكم من بعدكم ؟ انحرفوا عن سنتكم وحادوا عن جادة طريقكم ، فضلوا سبيلكم وأصبحوا من الضعف بحالة تدمي القلوب وتبعث في النفوس أسى وحسرة ، لا يحلو للمسلم الايذاء إلا في جاره ، ولا يطيب له هتك العرض إلا في المسلمة امرأة المسلم الذي بجواره ، ولا تقر عينه إلا إذا

أذى جاره ورماه بناره وشراره ، فلطفك اللهم بنا ورحمتك .
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم : فاتقوا الله عباد الله
وأحسنوا إلى جيرانكم ، اتقوا الله وقللوا معهم من شروركم
اتقوا الله وقدموا إليهم ما استطعتم من مساعداتكم ، واعلموا
أن الدنيا فانية ولا يبقى إلا المعروف والاحسان ، ولا يذهب
العرف بين الله والناس . (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى
وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)

الحديث

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن
رسول الله ﷺ قال : « من كان يُؤْمِنُ بالله واليوم الآخر
فلا يُؤْذِ جارَه ، ومن كان يُؤْمِنُ بالله واليوم الآخر فليقل
خيراً أو ليسكت »

وروى أحمد عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال : قال
رسول الله ﷺ لأصحابه « ما تقولون في الزنا ؟ » قالوا حرام
حرمه الله ورسوله ، فهو حرام إلى يوم القيامة . قال : فقال

رسول الله ﷺ «لأن يزنى الرجل بعشر نسوة، أيسر عليه من أن يزنى بامرأة جاره» قال: «فما تقولون فى السرقة؟» قالوا حرمها الله ورسوله فهى حرام. قال: «لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات، أيسر عليه من أن يسرق من جاره

(١٥) الزنا

وأضراره المادية والأدبية

الحمد لله الذى بين لعباده الرشد من الغى، ولم يفرط فى الكتاب من شىء، أحمده وأشهد أن لا إله إلا الله حذر من الزنا وكره الزناة، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، من أطاعه فقد أطاع الله، ومن تولى عنه فقد حبط عمله، وهو فى الآخرة من الخاسرين. اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين باعوا أنفسهم على تقوى الله، الذين عرفوا الله فعرفهم، ونصروه فنصرهم، وأطاعوه فأعلى قدرهم، وأعد لهم من

النعيم ما تقر به العيون : أما بعد فيا جماعة المسلمين : قال الله تعالى وهو أصدق القائلين (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا)

يا عباد الله : إن لله محارم يغار عليها أن تنتهكوها ، إن لله حدوداً يغضب عليكم أن تتعدوها ، إن لربنا منهيات يكره لديه أن ترتكبوها ، ألا وهي الكبائر التي نص عليها في القرآن الكريم ، ويعلمها الخاص والعام من المسلمين : من بين هذه المعاصي الزنا الذي شدد الله النكير على مرتكبيه ، ووصفه بأنه فاحشة وغضب وأنه بئس الطريق ، طريق الحسرة والندامة ، طريق الخيبة والسآمة ، طريق من سلكه كان من الأخسرين . كيف لا ومن المحقق أنه خسارة كبرى مادية وأدبية ، جسمية وخلقية ، فردية واجتماعية ، وهل أكبر خسار من هذه في العالمين ؟ الزنا غاية الافراط ومنتهى التفريط ، الزنا تنتشر بواسطته الأمراض الفتاكة التي تعيي نطس الأطباء ، والتي تؤدي بالخلق والخلق إلى

أسفل سافلين. الزنا مَضْيَعَةٌ للشهامة والمروءة والانسانية ، الزنا مجلبة للفقر والعار وألد أعداء الذرية ، الزنا يذهب بالفضيلة والشرف ويقتل الحمية ، الزنا تهتك وفجور وفسق وإجرام ، ومن يرضى لنفسه أن يكون من الفجار الفساق المجرمين ؟ ؟ أيها الزانى - إلى متى تحارب بالزنا مولاك ؟ إلى متى تنتهك حماه وهو يراك ؟ إلى متى لا تسمع قول الناهي إذا نهاك ؟ إلى متى لا تستحى من رب العالمين ؟ أيها الزانى - حدثنى بربك كيف تجرؤ أن تقترب من الزنا والمصطفى ﷺ يقول « لا يَزْنِى الزَّانِى حين يَزْنِي وهو مؤمن » ؟ بالله ما أجهلك : أترضى من أجل لذة نفسية وشهوة بهيمية ، سرعان ما تنقضى وتزول ، وتعقبها الحسرة والندامة ، تعقبها الكآبة والملل والسآمة ، يعقبها الضيق واليأس والقنوط ، أترضى لنفسك من أجل أمر تافه كهذا أن تخرج من حظيرة المؤمنين ؟ أيها الزانى - قل لى بأبيك : كيف تجرؤ أن تختلى بالأجنبية من غير ما حياء ولا خجل وبأى وجه تكشف عن عورة أختك المسلمة ؟ ! اللهم إلا بوجه ليس

فيه حياء ، بوجه كالح قد نضب ماؤه ، وقل حياؤه ، وطبع على قلبه بطابع الغضب والضلال المبين : بالله ما أقسى ذلك الوحش الكاسر ، الذى يجرؤ على إهراق دم الفضيلة والشرف على مذبح شهواته الحيوانية ؛ ويحه ، ما أقسى قلبه ما أصلبه ، لقد صدق الله حيث يقول . (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ، وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ) :

أيها الزانى ـ هل وصل إلى علمك حكم الله على الزانى والزانية ؟ وهل قرع سمعك آيات القرآن الكريم أُنزلت لتشهير بحكمها على رءوس الأشهاد ؟ قال تعالى : (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ، وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ

لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ، وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)

حكم الله سبحانه عليكما بالجلد مائة مرة ، لأنكما انتهكتما حرمة العفاف ، وهتكتما حُجُبَ الحياء ، وتجاوزتما حَدَّ الآداب ، وأتيتما أمراً إدّاً تكاد السموات يتفطرن منه

حكم الله عليكما بالجلد فى غير هوادة ولا لين ، ولا رأفة ولا رحمة ، لأن الجرم فظيع ، والجناية مزدوجة ، والطريق الذى سلكتماه نهايته الخراب والدمار ، والخسارة والبوار ، وآثار الجريمة ضياع الشرف ، وهَتْكُ العرض ، واختلاط النسب ، وانحطاط الخُلُقِ ، ومحاربة الفضيلة ، والانتصار للرذيلة ، والسقوط أخيراً فى حضيض المذلة والهوان

حكم الله عليكما بالجلد ، وناشد المؤمنين ألا تأخذهم بكما رأفة فى دين الله ، إن كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابكما طائفة من المؤمنين ، اعتباراً واتعاظا ، وإعلاناً لأمركما بين الناس ، وتحقيراً لشأنكما فى نظر الخلائق وفى هذا ما فيه من سقوط كرامة الانسان وضياع قيمته

الأدبية ، وزوال حسن السمعة التي من دونها يصبح الانسان خزفاً مصنوعاً :

فيأيها الزاني : هل إلى هذا الحد عرفت منزلتك عند الله ومركزك من الأمة ؟ منزلتك عند الله منزلة العبد الآبق ، الشريد الطريد ، الحقير المهان . وأما مكانتك من الأمة فمكانة اللصوص وقطاع الطريق ، بل مكانة السوائم تُعامَلُ بالسياط ، والبهائم تُساقُ بالعصى ، ولا ريب أنها مكانة لا يرضاها لنفسه إنسان عميز ورجل رشيد

هل بلغك يا هذا أن الله يشتد غضبه ، والملائكة تكثر من لعناتها واستنزال السخط على هذا المستهتر ، الذي لم يراع حرمة الاسلام ، ولم يكن في عمله من المثقفين

يا أخا العقل السليم : ألم تعلم أنك بفعلتك الشنيعة لطخت بالعار شرف أختك المسلمة ، وهتكت عرضها وانتهكت حرمتها ، وسوأت سمعتها ، وسودت شرفها وأوقعتها في الذل والهوان والخزي المبين ؟

يا صاحب الرأى السديد : أى ذنب جنته بنتك أو أختك أو أمك التى سينتقم الله منها عاجلا ، ويسلط عليها ذئباً مثلك ، ولصا من لصوص الأعراض ، يقتنك عفافها ، وينضح عرضها ، ويسلب شرفها ، انتقاماً منك وقصاصاً ، وليكون هذا عبرة للمعتبرين وعظة للمتعظين : يا أخا الزنا : كن واثقاً بأن ساعة القصاص قريبة ، وأن الديان موجود ، وكما تدين تدان : وبالكيل الذى تكيل به لغيرك لنفسك تكتال ، وعين الله لم تنم ، فالانتقام واقع لا محالة ولو بعد حين

أيها الزانى — تعساً لك فبيتك خراب وعذابك شديد ، وكداً لطالعك فستكوى يوم القيامة بالنار والحديد ، شقاء لك فسيصب ماء الزنا فى فمك قيحاً وصديدا ، أيها الزانى — أرأيت لو أن شخصاً سطا على دارك وانتهك حرمة بيتك ، فماذا يكون حالك معه ؟ وهل تغار على البيت أن يفضح ستره ؟ لا شك أنك تغار وربما دفعتك الغيرة إلى الانتقام ولو ذهبت أنت ضحية لهذا الانتقام فما بالك إذاً تنتهك حرمة رب الأرباب ، ومالك الأحرار والعبيد ما بالك إذاً

تعجب ربنا قادراً قهاراً ، إن يشأ يذهبك أنت وأمثالك ويأت
بخلق جديد ، وماذلك على الله بعزيز ؟ أين العقل الذى تميز به
الطيب من الخبيث ، وتعرف به الضار من النافع ؟ أين دينك
الذى يحثك على التمسك بالفضيلة ، وينهاك عن اقتراف الرذيلة
أين حرمة الآداب العامة ؟ أين الخوف من رب العالمين
لو كان يعلم هذا الزانى وقد اختلى بالأجنبية وكشف عنها
بدنس شرفها . أنها ضعيفة فى خَلْقِها وخُلُقِها ، ضعيفة فى
عقلها ودينها ، وأنه قد انتهك عفافها ، وقتل شرفها ، وأنه
زج بها فى هوة سحيقة لا قرار لها ، هاوية السقوط الذى
لا قيام بعده ، هاوية اليؤس والشقاء ، هاوية المذلة والهوان ،
وأنه بارتكابه هذا الجرم الشنيع ، قد تركها أسوأ الآثار ،
وقضى عليها القضاء الأخير . وأنه جنى على الانسانية
والمجتمع جناية كبرى لا تغتفر ، ولا تمحى على مدى الأيام
وتعاقب الحدثان ، وأنه محاسب على ذلك إن عاجلا أو آجلا
لو علم هذا الزانى ودار بخلده كل هذا ، لوبخ نفسه وأنب
ضميره على مافرط منه ، ولارتد بصره إليه خاسئا وهو حسير

فيا عباد الله — اتقوا الله وأقلعوا عن الزنا وكفى ما فات وبادروا بالتوبة قبل الفوات ، واقتفوا آثار سلفكم الصالح واعلموا أن الله جل جلاله يغار على محارمه أن ترتكب كما يغار الحر منا على عرضه وبيته ، وأن الحياة فانية ، والآخرة باقية ، فخذوا الزاد من الفانية للباقية ، واتقوا الله حق تقواه .

(إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ)

الحديث

روى البخارى ومسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يزنى الزَّانِى حينَ يزنى وهو مؤمن ، ولا يَسْرِقُ السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن »

وزاد النسائى فى روايته « فاذا فعل ذلك فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه »

(١٦) الزور

وأثره فى المجتمع

الحمد لله ناصر الصادقين، الحمد لله خاذل الكاذبين، الحمد لله ولى المتمسكين بالدين، ربنا آتنا من لدنك رحمة، وهب لنا الهدى والرحمة والأمان، وأشهد أن لا إله إلا الله أحكم الحاكمين، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله الصادق الأمين، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين جعلوا شعارهم الصدق، وصانوا ألسنتهم عن الزور والبهتان، أما بعد فيا جماعة المسلمين، قال الله تعالى وهو أصدق القائلين (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) إن الله جل ثناؤه أمرنا أن نتحلى بالصدق فى كل أقوالنا، وأعد للصادقين جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً، رضى الله

عنهم ورضوا عنه ، ذلك الفوز العظيم : وقد كان نبيكم عليه الصلاة والسلام قبل ظهور الاسلام يدعى بالصادق الأمين : وما أحسنها من صفة يدعى بها الانسان : وكما دعاكم الله إلى الصدق ورغبكم فيه ، نهاكم عن الكذب وحذركم عاقبته الوخيمة ، خصوصاً شهادة الزور التي يترفع عنها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان : إن شهادة الزور أمر يتعفف عنه أولو الطباع السليمة ، وأصحاب الضمائر الحية ، ولا يقدم عليه إلا كل ممقوت مرذول ، خان نفسه وربه وضميره ، ولطخ جبينه بالعار والخذلان : إن شهادة الزور جرأة في غير حق ، وسعي في غير شكر ، ومخالفة وعصيان : يا شاهد الزور — إنك مصيبة كبرى وطامة عظمى على هذا المجتمع الانساني . إنك طاغية داهية إنك داء وبيل . إنك شر مستطير . إنك جريمة خبيثة ، ومكروب اجتماعي خطير ، ما أحقك بالمحاربة ، وما أجدرك بالاحتقار والمقاطعة ، ونبذك من بين صفوف المسلمين كما تنبذ النواة أو الثوب الخلق ، أيهذا الذي في صورة الانسان

يا شاهد الزور — ما كان ضرك لو قلت حقا ، ونطقت

صدقاً ، وقررت الحقيقة كما رأتها عينك ، وسمعتها أذنك ، فترضى الله ورسوله ، وتحتفظ بشرفك وكرامتك ، وفوق هذا كله يحترمك الخصمان : يا شاهد الزور - إنك بشهادتك هذه قد أسأت إلى نفسك ، قد أسأت إلى ربك ، قد أسأت إلى المشهود له ، قد أسأت إلى المشهود عليه ، قد أسأت إلى القاضي ، قد أسأت إلى الناس أجمعين ، وسننت سنة سيئة تتنافى مع الذوق والأدب ، وتأباها الشهامة والمروءة والانسانية ، وتمجها قواعد الحضارة والتقدم والعمران : نعم أسأت إلى نفسك حيث ظلمتها وحملتها إثماً ووزراً ، وأظلم من في الأرض ظالم نفسه - نعم أسأتها ! لأنك بعت سعادتك الأخروية بدنيا غيرك ، واشتريت بشهادتك المزورة أيما خسران ! أسأت إلى مولاك ! لأنك أغضبته واستهترت بحرماته ، ولم تقف عند حدوده ، فواعجباً لك قد مهد لك الطريق السوى المستقيم الموصل إلى الجنة ، فما سلكته بل تركته وسلكت طريق النيران ! أسأت إلى المشهود له ، وحملته من الضرر ما لا قبل لمثله باحتمال مثله ،

وتسببت فى اغتياله حق الغير ، وسوف لا يملك الوفاء يوم يتعلق صاحب الحق برقبتك ورقبة صاحبك ، ويطالبكما برد حقه الذى تعاونتما على اغتصابه بالاثم والعدوان : أسأت إلى المشهود عليه فضيعت عليه حقه ، وفى ساعة الشدة خذلته ، وبوجه ليس فيه حياء واجهته بالزور والبهتان : أسأت إلى القاضى فضللته ، وعن طريق الحق والصواب حولته وبكلامك المزيف المطلى أقنعته ، ولولاك أيها القاضى لعدل فى حكمه ، وأصاب الحقيقة فى قضائه ، وقذف بالحق على الباطل فيدمغه ، فاذا هو ظاهر البطلان أسأت إلى الناس كلهم ، وانتصرت للرذيلة ، وشجعت عملا تبرأ منه الانسانية ، وأتيت أمراً تأباه الطباع السليمة وتكاد السموات يتفطرن منه فحسبك من العذاب فى الآخرة أن تكوى بسامير من نار على هذا اللسان

ربّ . ما أقسى قلوب الآدميين ، وما أظلم الانسان لأخيه الانسان ، لماذا يشهد بالزور عليه ؟ إن كان طمعاً فى الحطام الفانى فما عند الله خير وأبقى ، وإن كان صداقة ومجاملة

بصاحبه فقد خسر من أرضى العبد وأغضب الرب ، وتقرب من المخلوق وهجر الخالق . وإن كان خوفاً من سطوة مخلوق شبيه مثله ، فقد نسي أن عذاب الآخرة أشد ، وأن وراءه ناراً وقودها الناس والحجارة ، عليها ملائكة غلاظ شداد . يا شاهد الزور — حدثني بربك كيف يكون حالك إذا خلوت إلى نفسك ، واستعرضت موقفك هذا المؤلم المخزي ، الذي خسست به مقام الحقيقة ، وخذلت الحق ونصرت الباطل ، ونسيت في الضياع والحرمان ؟ قل وأبيك . ماذا يكون مركزك أمام محكمة الضمير وتقريع النفس ؟ وبأي حجة تدافع عن باطلك الصراح ؟ وبأي وجه تحابه الحقيقة المرة ؟ وكيف تتذوق طعم الراحة ؟ أم كيف تزور الكرى الأجفان ؟ فما أخسرك يا شاهد الزور ، ومسكين أنت يا من تشتري سعادة غيرك بشقاوة نفسك ، وما مثلك إلا مثل المصباح يضيء للناس ويحرق نفسه . فما أتعسك وما أحبطك أيها الشجاع في الباطل وفي الحق الجبان . فاتق الله يا شاهد الزور ، وبادر بالتوبة إلى الله ، والندم على ما فات ،

وارجع إلى الحق فالرجوع إلى الحق فضيلة ، واجعل ما مضى منك فى زوايا النسيان . اتقوا الله عباد الله ، وتجنبوا شهادة الزور ، وعودوا مقال الصدق ألسنتكم . (وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)

الحديث

عن أبى بكر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ » قالوا بلى يا رسول الله قال « الإشراكُ بالله وعُقُوقُ الوالِدَيْنِ » ثم جلس وكان متكئاً فقال : « أَلَا وقولُ الزُّورِ ، ألا وقول الزور ، ألا وقول الزور » رواه البخارى ومسلم والترمذي

(١٧) الخمر

أم الخبائث

الحمد لله الذى هدى الطائعين إلى صراطه المستقيم وحرم العصاة فى الآخرة من النعيم ، وجعلهم فى الأولى والآخرة من الأخسرين : أشهد أن لا إله إلا الله أمر باجتناب الخمر ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله سيد من أطاع ربه وصدع بالأمر ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ، الذين دعاهم الله فأجابوا داعي الله ، وشرح صدورهم للاسلام فاهتدوا بهدى الله ، وكانوا فى الأرض عباده الطائعين ، وفى إعلاء كلمة الله جنوده المخلصين ، وفى الهدى والرشاد نجوماً فى سماء الدين ، أما بعد فيقول الله تعالى وهو أصدق القائلين : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ

الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة، فهل أنتم منتهون) ؟ — يا عباد الله — من بين الكبائر التي حذر الله عباده من ارتكابها أم الخبائث الخمر. ذلك الذي شدد الله النكير على شاربه، ووصفه جل شأنه — بأنه رجس من عمل الشيطان، ووسيلة يتوسل بها إلى إفساد بني الانسان، فبه يوقع بينهم العداوة والبغضاء، وبه يصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة، وبه يضعف عقولهم وأجسامهم وأموالهم، وبه يفتح أبواب الشرور أمامهم، فان من شرب الخمر سكر. ومن سكر هانت عليه جميع المعاصي، ولذ له اقتراف الجرائم، وراق في عينه كل ما يغضب رب العالمين: إن من شرب الخمر لا يكبر عليه أن يزني، ولا يكثر لديه أن يسرق، ولا يبعد عليه أن يقتل، ولا يصعب عليه أن يتهتك ويخرج على حدود الآداب وحرمات الدين:

أيها القوم — لقد حرم الله الخمر على المسلمين. ولكن

بعد أن تحققوا ضررها ، ولمسوا أذاها ، ورأوا بعيونهم ما ينجم عنها من سقوط الهيبة والكرامة ، وذهاب الفتوة والشهامة ، وضياع المجد والشرف والمروءة والانسانية : نعم حرمها عليهم القرآن . ولكن بعد أن رأوا رأي العين أن الخمر تضعف عقولهم ، وتذهب أموالهم ، وتولد العداوة والبغضاء والضغائن والأحقاد بينهم ، وتفسد عليهم عبادتهم ، وتضيع عليهم مصالحهم وأوقاتهم ، ومن أجل هذا سألوا النبي ﷺ في شأنها قبل التحريم أسئلة عدة ، وكان آخر الأمر أن تضرع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الله بقلب ملؤه الاخلاص والايمان وقال: « اللهم بَيِّنْ لنا في الخمر بياناً شافياً » . فنزل قول الله جل جلاله : (يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر) إلى قوله (فهل أنتم منتهون) ؟ فقال عمر انتهينا يارب ، وصار يوم نزولها عيداً عظيما بين المسلمين : هكذا صار الخمر محرماً في كل زمان ، محرماً في كل مكان ، نعم صار مُحَرَّماً على الأبد ، بعد أن تحقق لدى الناس مضاره الجسمية والخُلُقية ، مضاره المادية والأدبية ، مضاره

الظاهرة الجلية ، التي لم تعد خافية على أحد في العالمين : أيها المسلمون — لقد أثبت الطب الحديث أن الدين على حق في تحريم الخمر ، فانها تضر الجسد ضرراً بليغاً ، وتفتك به فتكا ذريعاً ، فلا يمر على المدمن سوى ردح من الزمن ، حتى تراه وقد اعتلت صحته ، وساءت حالته ، واختل نظامه ، وتصدع بنيانه ، وأصبح هيكلا عظميا لا يلبث أن يصير أثراً بعد عين:

أيها القوم — كم دمرَ الخمر بيوتاً عامرة ، كم ذهب الخمر بمجد تالد وعزة عليماء ، كم رمّلَ نساء ويتّمَ أطفالا ، فيا له من عدو لدود ، يا له من داء وبيل ، يا له من سوس ينخر العظام ويلتهم الأجسام . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

أي جماعة المسلمين — لقد منع كثير من أمم أوربا المسيحية شرب الخمر منعاً باتا ، وفرض صارم العقاب وشديد الوعيد على كل شارب ، وأغلق حوانيته في وجوه الشاربين بصفة نهائية ، ولم يتردد في منع دخوله إلى البلاد بكل شجاعة

جريمة ، وبثّ العيون فى البلاد من أقصاها إلى أقصاها رقيبون كل من يشرب الخمر أو يتعامل به فيقودونه إلى حيث تقبض عليه يد العدالة فينال جزاءه صارماً وعقوبته شديدة : فيامعشر المسلمين — إذا كان هذا هو الحال فى بلاد الأمم وهى صليبية ، أفلا يجدر بنا — ونحن مسلمون نعيش دينا الاسلام ، وشعارنا القرآن الكريم الذى حرم علينا الخمر فى صراحة وجلاء ، وتكفل بشرح مضاره الدينية والدنيوية — أن نتعاون على محاربة هذا الداء الوبيل بما أوتينا من قوة ، ونعمل على استئصال شأفته من بلاد دينها الرسمي الاسلام ، والأغلبية الساحقة فيها تدين بالاسلام وتؤمن بالقرآن الكريم ؟ :

أيها المسلمون — كأنى بشارب الخمر وقد احتسى قدحاً وقدحين ، وما هي إلا أن عمل بنشوة الخمر ، ولعبت بلبه ، وملكت عليه مشاعره ، فاستل الأجنبي نقوده ، ودفع به إلى الخارج لا يلوى على شىء ، لا يلبث أن يقوم حتى يقع ، ينطق باللغو والفحش من القول ، يضربه شخص ،

ويسبه آخر ، ويرثى لحاله ثالث ، ويأسف لتدهور الإسلام رابع ، وتضحك عليه غلمان الأزقة والشوارع ، وقد صار هذا الأجنبي يضحك عليه مع الضاحكين :

أيها المدمن ـ كأني بك ـ وقد بدرت نقودك للأجنبي فالتقطها غنية باردة ودفع بها إلى أمته وبلاده يصوغون منها القنابل ، ويعملون بها المدافع ، يُصَوِّبونها إلى رءوسنا ، ويتحكمون بها في رقابنا ، ويرغموننا ويذلوننا ، ويقضون بها على البقية الباقية من حقوقنا ـ بينما أولادك الصغار وزوجتك المسكينة ربما باتوا جياعاً ، وهم في أشد الاحتياج إلى ما يسد رمقهم ويقوم بأودهم ، فانا لله وإنا إليه راجعون :

أيها المدمن ـ كيف تجرؤ أن ترفع الكأس إلى فيك؟! ألم يبلغك قول السيد الرسول عليه السلام « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » ؟ فبالله ما أقل حياءك ، وما أشد جرأتك يا هذا على الايمان : أيها المؤمن ـ بالله ما أجهلك وما أضعف عقلك ، كيف ترمي بنفسك في الهلاك ؟ أم كيف تشتري

السم الزعاف ، الداء الوبيل ، المرض الفتاك ، الخبل والجنون ، بأغلى الأثمان ، ثم تزعم بعد أنك من العاقلين : سبحان ربي — وكيف يسمى في جنون من عقل ؟

أيها المسلمون — من لنا بعقول راجحة تزجر أصحابها عن غيها وتهديها إلى سبيل الرشاد ؟ من لنا بعيون لا غشاوة عليها تنظر وترى بعد منتصف الليل أمواتاً في صور أحياء ، وأشباحاً تمايل ذات الشمال وذات اليمين ، وقد غلب الخمر على العقول ، وران السكر على القلوب ، واستولى الأجنبي على ما في الجيوب ، وطفح القيء على الصدور ؟

من لنا بأذواق سليمة تقرر أن الخمر قذارة يتعفف عنها أولو الطباع السليمة ، وآفة من آفات الانسانية والآداب ، يحاربها كل ذي نفس عالية وشعور حساس

فاتقوا الله عباد الله واعلموا أن الخمر عدوكم فحاربوه ، وأن من شربه فقد شرب في بطنه الخبث والرجس فاجتنبوه ، وأنه شَرَك نصبه لكم الشيطان فلا تقربوه . (يَأَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)

الحديث

روى الطبراني في الكبير عن السائب بن يزيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من شرب مسكراً ما لم يقبل الله له صلاة أربعين يوماً »

وروى الحاكم وأبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « لَعَنَ اللهُ الخمرَ . وشارِبَهَا وساقِيَهَا . وبائِعَهَا . ومُبْتَاعَهَا : وعاصِرَهَا . ومُعْتَصِرَهَا وحامِلَهَا . والمحْمُولَةَ إليه . وآكِلَ ثَمَنِهَا »

(١٨) الصيام

الحمد لله الذى جعل رمضان موسم الخيرات ، الحمد لله خص هذا الشهر بالنفحات والعطيات ، الحمد لله أورد الصائمين مورد البركات ، لا إله إلا الله ما اتخذ من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون : أحمده وأشهد أن لا إله إلا الله جعل السعادة فى اتباع الدين ، وأشكره شرع شرعه فائضا بالخير على جماعة المسلمين ، سبحانه لا تنفعه طاعتنا ولا تضره معصيتنا وهو فى كلتا الحالتين منعم متفضل ، لو أخذنا بذنوبنا وعاملنا بعملنا لعم العذاب وساء المآب وأصبح الناس فى ظلمات يتخبطون : وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله بما يرضى ربه قد قام ، وصام رمضان خالصا لوجه الله خير صيام وأدى الواجب كاملا وضحى بالرخيص والغالى لنصرة الاسلام فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الذين اتبعوه فى ساعة العسرة وأيدوه ونصروه أولئك حزب الله وحزب الله هم المفلحون

أما بعد فيأيها المسلمون ـ سنة الله فى خلقه ولن تجدوا لسنة الله تبديلا أنه جعل لكل تجارة موسما تنتظره التجار فاذا حل هذا الموسم بادروا إلى الاسفار، فركبوا متون البحار، وقطعوا الفيافى والقفار، وعرضوا أنفسهم لأعظم الأخطار، كل هذا بغية الحصول على درهم أو دينار. هذا هو شأنهم فى الحطام الفانى والمتاع القليل ومع ذلك لا يعرفون إن كانوا يربحون أو يخسرون، أو ينالون مايطلبون أو يحرمون

فياعباد الله ـ إذا كان هذا شأنكم فى متاع قليل لا تعلمون أيصيبكم أو لا يصيبكم وبضاعة فانية لا تدرون أتجارة رابحة أم صفقة خاسرة فكيف حالكم فى تجارة مضمون ربحها، ومؤكد كسبها ومحقق نفعها. كيف حالكم فى تجارة ربحها جزيل وكسبها غزير وشأنها عظيم. كيف حالكم فى تجارة تنجيكم من عذاب أليم، وتدخلكم جنات النعيم، وتورثكم لهناء المقيم

ياقوم: تجارة الدنيا التى تنهمكون فى تحصيلها وتحلفون الايمان الكاذبة من أجلها وتبيعون دينكم فى سبيل رواجها عرض زائل، وظل مائل وليس تحتها من طائل، والقائمون

يأمرها عبيد أمثالكم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا

تجارتكم هذه رأس مالها الكذب والنفاق والغش والخداع وخلف الوعود ونقض العهود ، تلك تجارتكم التي ألهتكم عن ذكر الله وشغلتكم عن أداء ما أمر الله ، أما تجارة الآخرة التي أدعوكم اليوم اليها ، فتجارة باقية مكاسبها غالية ، رأس مالها الصدق والوفاء ، وكف الجوارح عن الايذاء واعتقال اللسان عن الخوض في أعراض الابرياء ، والمتولي أمرها رب قادر عظيم ، وإله حاكم عادل ، يحاسب على الفتيل والقطمير ولا يضيع عنده من أعمال الخير قليل ولا كثير (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) (وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين)

فالى أراكم على تجارة الدنيا الفانية تنكبون ؟ وعن تجارة الآخرة الباقية تنصرفون ؟ مالي أراكم للحطام الفاني بأغلى الاثمان تشترون وللنعيم الدائم بأبخس الاثمان تبيعون ؟ مالي أراكم فيما فيه هلاككم تنهمكون ، وعما فيه هناؤكم وسعادتكم تتكاسلون ؟ مالي أراكم إلى الحانات وبيوت الخنا تبادرون

وعن تعظيم شهر الصيام وتأدية الفريضة تتأخرون فما هذا ياقوم ؟ أتبدلت الأرض غير الأرض والسموات أم طال عليكم الأمد فقست القلوب وفسدت النفوس؟ أم طغى عليكم سيل المدنية الكاذبة فأصبح الافطار فى رمضان وإغضاب الرحمن من الحضارة والعمران، إن كان هذا فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

ياعباد الله ـ رمضان موسم الخيرات ولكن أين تجاره؟ رمضان بيت الأمل ولكن أين زواره ؟ رمضان شهر الصوم ولكن أين صوامه ؟ رمضان شهر القيام ولكن أين قوامه ؟ رمضان منهل الرحمة ولكن أين العارفون ؟ رمضان شهر الاستغفار ولكن أين المستغفرون ؟ رمضان شهر القرآن ولكن أين القارئون ؟ رمضان شهر الصدقات ولكن أين المتصدقون؟ رمضان شهر الخيرات ولكن أين الفاعلون؟ رمضان شهر التوبة ولكن أين التائبون ؟ رمضان شهر الاخلاق الفاضلة ولكن أين المتخلقون ؟ بل أقول رمضان شهر الاسلام ولكن أين المسلمون ؟

عساكم تقولون نحن صائمون قائمون راكعون ساجدون فكيف تفمطنا من الاسلام حظنا ، وتبخسنا من الدين نصيبنا ولكني أقول لكم رويدا رويدا : نعم أنتم صائمون ولكنكم لأعراض الناس تنهشون ولحرمات الخلائق تنتهكون : نعم أنتم تركعون وتسجدون ولكنكم لجميع المنكرات ترتكبون ولانواع الموبقات تقترفون ، والله تعالى يقول (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وقال ﷺ (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا)

خبروني بربكم أين كان وقت اقتراف المحرمات اسلامكم؟ أين كان وقت السهر في الحانات والاشتغال باللهو واللغو قيامكم ؟ أين كان وقت الاشتغال بالغيبة والنميمة وأكل الاعراض صيامكم ؟ خبروني ما الذي أفاده صيامكم وقيامكم وركوعكم وسجودكم ما دمتم غير سالكين طريق نبيكم وغير مقتفين أثر أسلافكم ، وما دمتم لربكم مخالفين : وللشياطين طائعين وممتثلين

أيها المسلم — ليس الصيام أن تمنع نفسك الأكل والشرب طول اليوم وتطلق للسانك العنان، وتعطى لنفسك القيادة تسير على ما تحب وتهوى. كلا إن الصوم الصحيح الذى دعانا الدين اليه وفرضه علينا ربنا فى القرآن الكريم هو الصوم الذى تجرد فيه الانسان عن شهواته واللسان عن عثراته والقلب عن حقده وحسده وقسوته فكان المسلم فيه أشبه شىء بالملائكة المقربين (لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ)

ذلك هو الصيام الذى فرضه الله على عباده. ذلك هو الصيام الذى اعترف العالم أجمع بفوائده الصحية والخلقية والاجتماعية. وشهد العدو قبل الحبيب بأنه أثر صالح من من آثار الرسالة المحمدية، وتشريع حكيم تغبط عليه الشريعة الاسلامية، أما أنك تمنع نفسك الأكل والشرب ولكنك تطلق للنفس واللسان العنان فتنهش الأعراض، وتنتهك الحرمات. وتصب سمومك على المخلوقات، وتصعر

جهلك ، وتسيء معاملتك ، وتغلظ طبعك وتقسي قلبك ، فهذا مالا يدعو اليه الدين ولا يأمر به الاسلام

فيا عباد الله هذا هو شهر الصيام الذي قال الله فيه (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ، فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) فصوموه ولكن صيام المسلمين المفلحين ، الذين هم عن اللغو معرضون ، صوموه ولكن صيام الطيبين المخلصين ، الذين هم بأخلاق الكرام متخلقون . صوموه ولكن صيام النبي ﷺ والصحابة والتابعين ، الذين كانوا عن كلام السوء يترفعون . وعلى البؤساء والفقراء يتصدقون ، وعلى اليتامى والمساكين يعطفون . امنعوا عن الطعام والشراب والشهوات أنفسكم ، صونوا عن كلام السوء ألسنتكم . أحسنوا مع الناس معاملتكم رقّقوا طباعكم ، هذبوا أخلاقكم . أخلصوا إلى الله وحده صيامكم . إذا بدىء أحدكم بالاذي فليقل مقالة الصائم القائم الراكع الساجد « اللهم إني صائم » (وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب)

الحديث

روى البخارى وأبو داود عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال (من لم يدع قولَ الزُّورِ والعملَ به فليس لله حاجةٌ فى أن يدعَ طعامَه وشرابَه)

وعنه أيضا عن النبى ﷺ قال (ثلاثةٌ لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر والإمام العادل، ودعوة المظلوم، يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين) رواه الترمذى

وعنه أيضاً أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (قال الله عز وجل «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فانه لى وأنا أجزى به، والصيام جُنَّة: فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فان سابه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم»: والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك: للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقى ربه فرح بصومه) رواه البخارى ومسلم

(١٩) الحج

الحمد لله جعل الحج من أركان الاسلام ، وقرنه بزيارة المصطفى خير الأنام ، ومصباح الظلام ، ورسول الله الملك العلام ، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام :

وأشهد أن لا إله إلا الله مشرع الشرائع والأحكام ، وأشكره على ما تكرم به علينا من فضل وإنعام : سبحانه من إله بر رحيم ، ورب عزيز كريم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا تجوز عليه غفلة ولا نسيان : وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله ، حج بيت الله الحرام ، واستلم الحجر الأسود وسعى بين الصفا والمروة ، وصلى عند المقام ، وأدى المناسك كلها وقام بالواجبات خير قيام ، فصلوات ربي وسلامه وبركاته عليه وعلى آله وصحبه ، الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، أولئك لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار .

أما بعد : فيقول الله تعالى وهو أصدق القائلين (وَلِلَّهِ

عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)

(وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)

يا عباد الله ـ إن الدين الاسلامى الذى هدانا الله إلى اعتناقه أعظم الأديان السماوية سعادة وهناء ، وأكثرها ملاءمة للطبائع البشرية ، وأشدها صلاحية لما تتطلبه الأذواق الانسانية فى كل زمان ومكان : فهو دين الحضارة والمدنية ، وناموس العدالة الحرية ، وقانون العدل والانصاف والمساواة ، يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المعاندون المكابرون : فالحمد لله الذى هدانا لهذا الدين الحنيف ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

دين كهذا لابد له من أسس متينة يقوم عليها ، ودعائم قوية يستند إليها ، وبقدر متانة الأساس تكون متانة البناء وصلابته : فأول أركانه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله : يستهل الانسان إسلامه بهذا الركن العظيم

الذى هو بمثابة المفتاح للقلب : يقول الانسان هـذا بلسانه وقلبه وقد كان مظلم القلب ،ضيق الصدر، منقبض النفس فسرعان ما يضيء قلبه ، وينشرح صدره ، وتنفرج نفسه (فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ)

والثاني إقامة الصلاة والتشرف بالمثول بين يدى أحكم الحاكمين خمس مرات فى اليوم والليلة ،يناجي الانسان فيها ربه ، فيستنير قلبه ، وتهذب نفسه ، وتخشع جوارحه وينتهى عن الفحشاء والمنكر (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)

الثالث من الأركان ، انساني محض ، يقصد به مساعدة الفقراء والمعوزين ، ومد يد المعونة الى البؤساء والمنكوبين وتفريج كرب المكروبين ، وتخفيف ويلات المصابين ، ومواساة من أخنى عليهم الدهر ، وعضهم بأنيابه الفقر فأمسوا بعد عزهم مساكين . فالحق أن مكانة الزكاة من الدين الاسلامي مكانة الرباط المتين الذى ربط به المولى وحدة المسلمين ، وأوثق به عرى اتحادهم ، وألف ما بين قلوبهم ،

وجعله أكبر علاقة يتعلق بها فقيرهم بغنيهم ، وضعيفهم بقويهم فتسير أعمالهم ، ولا تتعطل مصالحهم ، ولا يكون للضغينة والحقد أثر في قلوبهم ، فسبحانه من إله مشرع حكيم عليم .

الركن الرابع صحي أخلاقي اجتماعي انساني ، وهو صوم رمضان : نصوم هذا الشهر فتصح أجسامنا ، وتهذب أخلاقنا ، وترق طباعنا ، وتصفو كالمرآة نفوسنا ، وتخفق بالشفقة والرحمة قلوبنا ، فنحن إلى اخواننا الفقراء والمساكين نمد أيدينا اليهم بصدقة الفطر ، حتى يأتي العيد عليهم وهم فرحون مستبشرون ، فما أدقه من نظام بديع ، وترتيب حكيم ، وتعليم اله لا تجوز عليه الغفلة ، ولا يدركه السهو ، سبحان الله وتعالى عما يشركون

الخامس من الأركان وهو ما نحن بصدده حج بيت الله الحرام ، وهو زيارة الكعبة المكرمة ، والوقوف بعرفه وتأدية مناسك الحج للقادر على ذلك : يترك الناس أوطانهم وأموالهم وأولادهم ومتاعهم وكل ما تقر به عيونهم عن طيب خاطر ، ويتجشمون متاعب الاسفار ، ويركبون متون

البحار ، ويعرضون أنفسهم للأخطار ويواجهون الصعاب والأهوال ، ويعيشون عيشة التقشف والزهد ، لا طمعا فى مال يحصلون عليه ، ولا طلبا لدنيا يصيبونها ، ولكن فيما هو أسمى وأشرف ، حبا فى الله ، وابتغاء مرضات الله ، وطمعا فى جنات الله ، فأولئك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا

أيها المسلمون : يعقد أهل أوربا المؤتمرات ما بين حين وآخر ، لينظروا فى أحوال أممهم ، وفى سياسة بلادهم ، وفى مهام أمورهم ، ويزعمون أن ذلك من نتائج حضارتهم ومدنيتهم وتقدمهم فى ميدان الحياة وضروب الاعمال ، وأما المسلمون فأهل تأخر وكسل ، وعقولهم أضعف من أن تفكر فى موضوع كهذا له منافعه وفوائده : يقولون هذا ـ ولكنها كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، إن يقولون إلا كذبا) فلو فكروا فى الأمر قليلا وأنصفوا لوجدوا أن الدين الاسلامى من نحو خمسين وثلثمائة وألف سنة قد شرع أكبر مؤتمر عرفه التاريخ ، قبل أن تكون أوروبا ، ولا أهل

أوروبا ، ولا حضارة أوروبا .

خبروني بربكم . أين كان أهل أوروبا وحضارتهم يوم وقف سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ في حجة الوداع حيث جموع المسلمين ذاخرة ، وبسط سياسته العامة في أول مؤتمر عالمي ، وخطب خطبته المشهورة وفيها يقول (أيها الناس — اسمعوا قولي فاني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا ، أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت . فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن كل ربا موضوع ، ولكن لكم رءوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون ، اعبدوا ربكم ، وصلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأطيعوا ذا أمركم ، تدخلوا جنة ربكم ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، أمرا بيّنا كتاب الله وسنة نبيه

أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه ، تعلمن أن كل مسلم

أيها المسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لمسلم من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم ، ألا هل بلغت ؟) فقال الناس : اللهم نعم . فقال رسول الله ﷺ « اللهم أشهد » ونزل عليه يومها قول الله تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)

فيا معشر المسلمين — من هذا يتبين جليا أن فكرة عقد المؤتمرات التي يمتن عليكم بها مأخوذة في الحقيقة عن المسلمين ، وحضارة المسلمين ، وتعاليم دين المسلمين ، فقد شرع الله الحج في كل عام ، يجتمع فيه المسلمون من أنحاء المعمورة آلافا مؤلفة ، يتشاورون في أمورهم ، وينظرون فيما جد أثناء العام في بلادهم ، وفي السياسة العامة لأوطانهم ، وفي أحسن الوسائل التي يتذرعون بها لتحسين مستوى المسلمين ماديا وأدبيا ، وأخلاقيا واجتماعيا ، ومن ثم ينفرون

الى بلادهم ، بعد أن يكونوا قد حصروا الرأى ، وقرروا سياسة عامة تعود على المسلمين بالخير الآجل والعاجل

وهكذا دواليك فى كل عام ، مما يعود بالفائدة المحققة على الامة الاسلامية ، ويجمع كلمتها ويوحد رأيها ، ويضمن سيادتها ويزيدها قوة على قوة

هذا هو ما رسمه الله لعباده المسلمين من نحو ثلاثة عشر قرنا . فهل كان أهل أوروبا فى ذلك الحين يعقدون المؤتمرات ؟ ويعرفون ما هى المؤتمرات أو يسمعون عنها ، اللهم لا . ليت شعرى : لو أنصف الخصم ، وانطلق لسانه بكلمة الحق يرددها ، ولكن آه . فالحق غصة فى الحلق . وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، ولكنهم يكتمون الحق وهم يعلمون : هم يعرفون جيدا أن دين الاسلام دين الهداية والرشاد . وانه الدين الذى نزل لسعادة البشر أجمع ، دين السلم الذى يرمى الى نشر ألوية السلام على ربوع العالم ، وأن القرآن كتاب ناطق . وحجة قائمة . وأن محمدا ﷺ لعلى خلق عظيم . نبى الرحمة وهادى الامة : هم يعرفون

كل هذا تماما . ولكنه الفرض يعمى ويصم ، ولكنه الاهمال فى ديننا أطمع فينا أعداءنا ، . وجعل الثعلب يمشى من عرين الاسد يريد افتراسه . فلئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين)

سبحان ربى إنك تعلم يا الله أن حضارتهم وما ينعمون به الآن من رفاهية وسعادة . وما يختالون به علينا من عز وجاه كله مقتبس من شريعتك الغراء . وتعاليم دينك الحنيف . الذي عقه أبناؤه . وحاربه أهله وانفض عنه أحباؤه . وصار كثير ممن ينتمون إلى الاسلام بصلة النسب حرباً عواناً عليه إما جرياً وراء الحطام الفانى وإما غروراً بما يسمونه الحضارة والمدنية ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

يا عباد الله : فرض الله الحج على عباده ليحققوا الحكمة الجليلة . والسر المجيد السامى فى قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)

يجتمع المسلمون هنالك . فيتعرف المصرى بالهندى والشامى بالمغربى ، والفارسى بالعراقى ، والحجازى بالأفغانى واليمنى بالجاوى ، والنجدى بالتركى : وهكذا تتقارب قلوبهم وإن تباعدت أجسامهم ، ويجتمع كلمتهم ، وإن تفرق شملهم وتنظيم صفوفهم ، وإن تبعثرت وحداتهم — فيصبحون على كثرتهم وتعدد أوطانهم جسما واحداً ، إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائره بالحمى والسهر

فرض الله الحج على عباده المسلمين الموسرين إجابة لدعاء خليله إبراهيم صلوات الله وسلامه حيث يقول (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ، وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) فهناك يجتمع المسلمون من أنحاء المعمورة مزودين بالأموال الطائلة والخيرات العظيمة ، يدرونها على إخوانهم ، المسلمين ببلاد الحجاز الذين أقفرت أرضهم وقلت

خيراتهم فيبدلون عسرهم يسراً ، وضيقهم فرجاً ، وفي هذا من التعاون والتعاضد ما لا يخفى على ذوى الألباب :

شرع الله الحج ليجتمع المسلمون هناك في عرفات أشباه حفاة عراة ، قد جردوا أنفسهم من كل نعيم الحياة وزخارفها ، واتجهوا إلى الله بقلب واحد ، ولسان واحد ، في مكان واحد ، وقالوا من فوق عرفات : الله أكبر الله أكبر : لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك ، اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الأبرار . فيستجيب الله دعاءهم ويخرجهم من ذنوبهم كما يخرج الطفل يوم ولدته أمه . ويجتمعون هكذا حفاة عراة مجردين من كل نعيم ، اللهم إلا من قلب ينبض بذكر الله ، ولسان ينطق بعظمة الباري جل علاه ، ليكون هذا الموقف تذكيراً لهم بيوم المحشر ، كل فيه بنفسه مشغول ، وبعمله مرهون .

(يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ)

فاتقوا الله عباد الله وشمروا عن ساعد الجد فى تأدية هذه الفريضة الهامة والقيام بهذا الركن الاسلامى العظيم : ها أنتم الآن على أبواب موسم الحج فاغتنموا الفرصة فى وقتها ، وانتهزوا الظروف قبل مضيها ، وكلوا رءوسكم بهذا الشرف العظيم ، وريضوا أرواحكم بزيارة الروضة الشريفة ، روضة النبى محمد سيد الأولين والآخرين

« لا إكراه فى الدين ، قد تبيّن الرُّشدُ من الغَيِّ ، فمن يكفُر بالطاغوتِ ويؤمن بالله فقد استمسَك بالعُروَةِ الوُثقى لا انفصام لها ، واللهُ سميعٌ عليمٌ »

الحديث

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله وسلم أى العمل أفضل ؟ قال « إيمان بالله ورسوله ، قيل ثم ماذا ؟ قال الجهاد فى سبيل الله ، قيل ثم ماذا ؟ قال حج مبرور »

تم بحمد الله الجزء الأول ويليه الجزء الثانى

فهرست الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة الكتاب للمؤلف
٢٣	الجاهلية والاسلام
٢٦	معرفة الله مدعاة التفكر في مصنوعاته
٣٢	التقوى
٣٨	وفاء الكيل والميزان
٤٨	الدنيا والآخرة
٥٤	في الحث على المحبة والنهي عن التباغض
٦٤	غرور الانسان بنفسه
٧٢	الحلم سيد الاخلاق
٧٨	الازمة الاخلاقية
٨٧	البكر
٩٥	اليتيم
١٠٣	الاستقامة
١٠٨	المال والبنون
١١٥	اكرام الجار
١٢٤	الزنا وأضراره المادية والادبية
١٣٣	الزور وأثره في المجتمع
١٣٩	الخمر أم الخبائث
١٤٧	الصيام
١٥٥	الحج

فهرس الخطأ والصواب

صحيحة	سطر	خطأ	صواب
١٦	١٦	الموضوعات	المواضيع
١٨	١٥	كذا	
٢٠	٦	تشبهوا	فتشبهوا
٢٨	٣	أنظارنا	أنظارنا
٣٦	٦	وتسبحوا	وتصبحون
٤٠	٨	لها	لها
٤٠	١٣	أكلا	أكل

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤١	٩	لايتورع فيها	لايتورع عنها
٤٢	٨	كبير	كثيراً
٤٧	٥	ألايمن الله قد أحل البيع	ألايمن قد أحل الله البيع
٥٩	٣	يرمق	
٧٩	١١	فكرهم	أفكارهم
٨٤	٩	يتشبهون	يتشبهان
٨٥	١٤	مخلفة	مخالفة
٨٨	٢	وتصير	وتصير
٩٧	٥	شفاف قلبه	شفاف قلبه
١٠٩	١٢	لايتوعده	لايتوعد
١١١	١	المرء	المرء
١١٤	١	الحاحكين	الحاكمين
١١٥	٢	لعملت	لعملت فيه
١١٥	١٥	أحسن	أحسن بار
١١٦	١٣	حانا	حانا
١١٨	١٣	إنتهاك	انتهاك
١١٩	٦	إزرع	ازرع
١٢٤	١٣	واضوا	راضوا
١٣٣	٥	والرحمة	والرضا
١٤٤	٥	غنية	غنيمة
١٤٤	١٥	المؤمن	المدمن

وهناك بعض تحريف مطبعي لايخفى على فطنة القارىء.

obeikandl.com